من رسائل الأب صفرونيوس

# حَرَكَةُ ٱلْمَحَبَّةِ فِي ٱلثَّالُوثْ

ترجمة ودراسة

دكتور

جورج حبيب باوي

٢٠١٧

من رسائل القديس صفرونيوس القصيرة

# حركة المحبة في الثالوث

ترجمة ودراسة


دكتور

جورج حبيب بباوي



٢٠١٧

اسم الكتاب : حركة المحبة في الثالوث؛ من رسائل القديس صفرونيوس

المترجم :دكتور جورج حبيب بباوي

الناشر :جذور للنشر - ت: ٢٧٧٩٦١٣٧

المطبعة :جي سي سنتر ١٤ ش محمود حافظ - ميدان سفير - مصر الجديدة

الطبعة :الأولى أكتوبر ٢٠١٧

## أولاً:

## دراسة النص

# الله ثالوث، ولذلك الله محبة
# وهو محبة، لذلك هو ثالوث

خلاصة لتعليم الآباء[1]

---

١ القديس أوغسطينوس – القديس غريغوريوس أسقف قبرص – الأب صفرونيوس – ريكاردوس الفكتوريني.

-١-

# ما هي المحبة الإلهية؟

**١-** المحبة ليست مجرد عواطف وانفعالات، بل هي حركة الحياة نراها في شكلها الغريزي عند الحيوانات غير العاقلة التي تندفع بقوة المحبة نحو حفظ الصغار وحفظ النوع بالولادة والحبل، وأحياناً يكلفُ ذلك الحياة.

عندنا نحن البشر تدفعنا الغريزة نفسها نحو الآخرين في محبة غريزية في التضامن معاً ضد الخطر، أو في إنقاذ مَن هو في خطر. وتدفعنا ذات القوة إلى الزواج وإلى تعضيد الأسرة والتضحية، وهنا تختلط القوة الغريزية بالشعور بالواجب وبالالتزام بالوعد؛ لأن الغريزة وحدها لا تحفظ المحبة، بل تعلو المحبةُ إلى آفاقٍ أرحب، وهي البذل والكفاح من أجل رسالة نؤمن بها.

**٢-** هذه هي بصمات المحبة الالهية فينا، ولكن المحبة الالهية تعلو على كل أشكال وأوصاف المحبة الإنسانية. وسوف نكتفي بأربع صفات للمحبة الإلهية، هذه الصفات قد تبدو غريبةً علينا، ولكن كلها معلَنَةٌ في الأسفار المقدسة:

**أولاً: هي محبة أقنومية، أي شخصانية.** وهنا الأقنوم هو *Prosopon* أي الكائن الذي يجد كماله في الآخر، والكمال ليس لأن الأقنومَ ناقصٌ، بل لأن الأقنوم هو أيضاً *Hypostasis* كيانٌ قائمٌ من أجل غايةٍ، هذه الغاية هي فيه هو، وهي تكمُل بالشركة. والشركة هنا لا تعني أن هناك نقصاً يدعو إلى الشركة، قد يكون هذا صحيحاً بالنسبة للإنسان، ولكنه ليس كذلك بالنسبة إلى الله؛ لأن الأقنوم يتَّجه *Pros* إلى الآخر، لا لكي يكتشف ذاته كما يحدث عندنا نحن البشر، بل لكي يستقر في الآخر؛ لأن حلول أقنوم في أقنوم، هي من صفات أقانيم الثالوث، وهي

حركة ثالوثية ليست مقدَّمةً أو معطاةً للإنسان، بل قاصرةٌ على الله.

ولماذا يستقر كل أقنوم في الآخر؟ هذا يقودنا إلى الصفة الثانية.

**ثانياً: المحبة الإلهية حركة حياة في داخل جوهر الثالوث**، وهي متجهة إلى ما هو في جوهر أو حياة الثالوث. فهي ليست حركة حياة خارجية، بل حركة حياة داخلية تعبِّر عن كمال الله؛ لأن كمال المحبة هو في شركة الكيان، وشركة الكيان هي ما يتميز به الله عن المخلوقات.

نحن نموت إذا قدَّمنا كياننا لآخر، ولكن الموت غريبٌ على طبيعة الله. الله لا يموت؛ لأن الموت هو ما لصق بالطبيعة المخلوقة، وقد عرفناه عندما دخلت الخطية إلى العالم (رو ٥: ١٢ وما بعده). ولكن شركة كل أقنوم في كيان الآخر هي أن يأخذَ كل أقنومٍ من الآخر ما يجعله يتحرك نحو الآخر، ويعطي الآخر ما يجعل الآخر يتحرك نحوه، حركةً ذاتيةً لا تحدث في فراغٍ، ولا هي مقيَّدة بالمسافة، فلا توجد مسافة في الله، فهي إذن شركة في كيان الآخر، وهذا يقودنا إلى الصفة الثالثة.

**ثالثاً: الشركة في كيان الأقنوم الآخر هي شركةُ عطاء الصفة الأقنومية التي تميِّز كل أقنوم عن الآخر**، ولذلك يشترك كل أقنوم في الصفة الأقنومية، ويبقى لكل أُقنومٍ تمايزه بالصفة الأقنومية.

عندما نعطي الآخرين، غالباً ما ينقُص ما لدينا، وأحياناً يحدده العطاء إذا كان عطاءً داخلياً روحياً أو عقلياً، ولكن هذا لا ينطبق على الله بالمرة؛ لأن الله لا ينقص ولا يزيد، بل هو دائماً كاملٌ ولا يحتاج إلى أي مصدر خارجي يعطي له لأن الله لا يحتاج بالمرة. نحن نحتاج إلى الأشياء *Objects* ولكن الله لا يحتاج إلى أشياء، بل يبحث عن الأشخاص لكي يسكب محبته في هؤلاء الأشخاص، لكي –بالمحبة– يصبح كلٌ منهم شخصاً، وسوف ندرس هذه النقطة بالذات

بعد ذلك. لكن هنا نكتفي بأن نؤكد الصفات الأقنومية الثلاثة:

| | |
|---|---|
| – الأبوة | تميِّز أقنوم الآب |
| – البنوة | تميِّز أقنوم الابن |
| – الانبثاق | تميِّز أقنوم الروح القدس. |

حيث يشترك كل أقنوم في كل ما لدى الأقنومين الآخرين، ويعطي لكل منهما شركة فيما يخصه، أي ما يتمايز به وهو الصفة الأقنومية.

فالآب يعطي أبوته للابن الكائن في "حضنه الأبوي كل حين".

والابن يعطي بنوته للآب لأنه في "الآب والآب فيه".

والروح يعطي الانبثاق من الآب للابن ويتحرك بالعطية إلى الآب[٢].

وعند عطاء الصفة الأقنومية تبقى الصفة الأقنومية هي مصدر العطاء، ومصدر الحركة نحو الأقنومين الآخرين، ويحفظ –مع ذلك– كل أقنوم صفته الأقنومية؛ لأن المحبة لا تلغي التمايز، بل تحفظه.

**رابعاً: هي محبةُ "بذلٍ" أو "عطاء"** لا يهدد الكيان كما يحدث لنا، بل يجعل الكمال هنا هو ذاته البذل. ولإيضاح هذه النقطة علينا أن نتوقف أمام كلمات الرب نفسه الذي يقول: "الآب الحال فيَّ هو يعمل الأعمال التي أعملها أنا" (يوحنا ١٤: ١٠). وهنا وحدة العمل، مصدرها حلول كل أقنوم في الآخر أقنومياً، وشركة العمل تعود إلى:

**١–** الحلول المتبادَل لأقانيم الثالوث[٣] *Perichoresis*.

**٢–** وحدة الجوهر الإلهي غير المنقسم، والذي لا يقبل الانقسام.

فما هو البذل الذي يعلنه الثالوث؟

٢ كان القديس هيلاريون أو ايلاريوس هو أول من قال إن اسم العطية هو اسمٌ أزليٌّ، لم يُضَف للروح القدس بسبب التدبير.

٣ المعنى موجود في يوحنا ١٠: ٣٧-٣٨ – يوحنا ١٤: ٩ – ١١ – يوحنا ١٧: ٢٠ وما بعده.

عرفنا هذا البذل من التدبير، فالآب مُعلَنٌ بالابن، والابن مُعلَنٌ بالروح القدس، والروح القدس -بكل أسفٍ- مُعلنٌ بالكنيسة في الخدمة والنبوة والشفاء وأعمال الروح القدس التي يعملها الروح نفسه[٤]. إنها الممارسة الثالوثية التي لا تسمح بالانفراد، ليس عن سطوة أو قهر كما يحدث أحياناً بين المحبِّين من البشر، بل هي حركة الحياة الذاتية التي تنساب في الجوهر الإلهي بسبب الحلول المتبادَل.

٤ نقول بكل أسف نظراً لضعف الكنيسة.

– ٢ –

# المحبة الإلهية شخصٌ، لا عواطف

**١–** المحبة الإلهية هي شخصٌ أو أقنوم، وليست عواطف ومشاعر. ولكن بسبب خَلقِنا من العدم يتعذَّر علينا ثلاثة أشياء:

**الأول**: أن نعطي كياننا عطاءً كاملاً؛ لأن الخلق من العدم حدَّد طبعنا غير القادر على عطاء الكيان؛ لأن هذا يؤدي إلى الموت.

**الثاني**: عدم القدرة على الحلول المتبادَل، بل فقط الوحدة الخارجية، مثل وحدة الزيجة التي توحِّد وتحفظ استقلال الكيان؛ إذ يتعذَّر على الزواج أو الزوجة أن يحل أحدهما في الآخر، بل لهما أن يتحدا في العواطف والمشاعر عند المواجهة وممارسة الحياة الزوجية. أمَّا عند الانشغال بأمر آخر مثل العمل، أو أعباء الوظيفة، فإن الاتحاد الروحي يبقى في الذاكرة وفي الخيال، ولكنه يظل حيَّاً بفضل الوعي وبقاء الإرادة الواعية التي تطلب دائماً الآخر كما هو، لا الآخر كما نريده؛ لأن الآخر كما نريده هو نتاج إسقاط الأنانية والرغبات التي لدينا عليه.

**الثالث**: تبقى المحبةُ فاعلةٌ بالاتصال والمواجهة والشركة، ولكنها تقل وتتحول إلى شوق بسبب الابتعاد عن الآخر.

**ما ذكرناه هنا لا ينطبق بالمرة على الثالوث القدوس، للأسباب التالية:**

**أولاً**: لأن العطاء الكامل للكيان، هو حركة الحياة في الثالوث، وفي الثالوث لا يوجد ”حَدٌّ“ اسمه الخلق من العدم يهدد العطاء الكامل.

**ثانياً**: ومع العطاء الكامل يصبح الحلول المتبادَل هو قبول الآخر وحلول الآخر

في حركة دائمة لا تتوقف[٥].

هذا يقودنا إلى أحد الجواهر الثمينة التي سلَّمها إلينا الآباء وهي:

## الثالوث إعلان أقنومي أو شخصي

**الله الثالوث ليس طبيعةً معلَنة في ثلاثة أقانيم، بل هو ثلاثة أقانيم يُعلَن كل أقنوم في كيانه وفي وحدته مع الأقنومين الآخرين إعلاناً خاصاً بالإنسان؛ لأن الآب يعلِن أبوته في الابن، والابن يعلِن لنا بنوته بالروح وفي كيانه هو؛ لأنه جاء "لأجلنا نحن البشر"، وأعلَن لنا عن أُلوهيته في التدبير الإلهي، ولم يعلِن لنا الابن عن "جوهر اللاهوت"؛ لأن الكيان الإلهي فوق الإدراك. وإذا وردت عبارات عند اللاهوتيين المتأخرين مثل بالاماس عن عدم شركتنا في الجوهر الإلهي، فهذا على وجه دقيق، صحيحٌ؛ لأن الشركة في الأرثوذكسية تنطوي على المعرفة، ونحن نعرف أبوة الله من التبني، ولكن لا نعرف جوهر الآب والابن والروح القدس. لأن ما نشترك فيه هو ما نعرفه، وما نعرفه هو ما نشترك فيه؛ لأن الابن لم يُعلِن لنا جوهر اللاهوت، بل أبوة الآب. ولم يعلِن لنا الابن طبيعته، بل علاقته بالآب كابنٍ وحيدٍ أزلي.**

**عموماً لا توجد طبيعة عارية بلا أقنوم يعلنها في علاقة[6].**

**ثالثاً**: الآبُ محبٌّ، والابنُ محبوبٌ، والروح القدس هو روح المحبة (رو ٥: ٥). تلك كانت أهم مساهمة للقديس أوغسطينوس في موضوع الثالوث، وتوقَّفَ عندها.

ولكن، تحوَّل اعتبار الروح القدس روح المحبة، إلى الإيمان بانبثاق الروح

٥ راجع القديس كيرلس السكندري، شرح إنجيل يوحنا ١: ٥ مجلد ٧٣: ٨١.

٦ غريغوريوس أسقف قبرص، الثالوث ١٣: ١ وأيضاً الوجود شركة، للأسقف يوحنا زيزيولاس، تعريب د. جورج حبيب – القاهرة، عدة طبعات.

القدس من الآب والابن في فترة لاحقة؛ بسبب سوء فهم ما قاله أوغسطينوس عن أن الروح هو المحبة المتبادلة، ولكن جاءت عدة تعديلات هامة، لا نريد أن نثقل على القارئ هنا بالأسماء والتواريخ الخاصة بها، ولكن أهم ما وصلنا هو:

**١-** الآبُ محبٌّ، والابنُ أيضاً محبٌّ للآب، فهو مثل الآب محبٌ ومحبوب، ونفس الكلام ينطبق على الروح القدس.

**٢-** تبادُل علاقة المحبة، أي عندما يصبح **المحبوب** هو ما يحدث في الحلول المتبادَل *Perichoresis*.

**٣-** هذا التبادُل يظهر عندما تتحرك المحبة الإلهية في اتجاه الخليقة، وفي السعي الإلهي لإكمال التدبير:

**أ-** عندما خلق الله الإنسانَ على ''صورته ومثاله'' (تك ١: ٢٦)، فقد أعطى للإنسان أن يعرف المحبة، وأن يكون ''محباً ومحبوباً'' في آنٍ واحد، ولكن الإنسان المخلوق من العدم لا يمكنه أن يصبح ''محبةً''؛ لأن الله وحده هو المحبة (١يوحنا ٤: ٨، ١٦).

**ب-** وعندما جاء ''المحبوب''، أي الابن الوحيد، فقد جاء لكي يعلِن ''المحب''، أي الآب، ويعطي لنا ''المحبة'' في سكنى وحلول الروح القدس فينا. ولكن، هنا -مع عدم قصر المحبة على الروح القدس وحده- يجب علينا أن ندرك أن المحبوب والمحب يحمل كلاهما في كيانه المحبة؛ لأنه لا محبوب بلا محبة، ولا محبة بلا محبوب. على أن هذا لا يقودنا إلى الإيمان بانبثاق الروح القدس من الآب والابن؛ لأن هذا الخطأ يعود إلى تخصيص ''المحبة'' للروح القدس وحده، ولكن عبارة الرسول يوحنا: ''الله محبة''، تجعل المحبة الإلهية هي حركة الأقانيم معاً في وحدة المحبة؛ لأن المحبة هي ضد الانقسام، ولذلك لا يرث الخطاة ملكوت السموات؛ لأن الخطية قد قسَّمت كيانهم، ويتعذَّر عليهم أن

يرثوا الحياة التي كل ما فيها هو غريبٌ على الانقسام.

**جـ-** في تدبير الخلاص على مستوى العلاقة الأقنومية في الثالوث، تجسَّدَ الابنُ دون أن يترك حضن الآب، ثم صُلِب ومات وقام. وقد سكن الروح فينا بعد أن حلَّ على يسوع ومسحه بعد خروجه من الماءِ دون أن يترك الروحُ الآبَ.

هكذا أعلَن الثالوث بالأعمال، وحدة عمل الأقانيم[٧]:

* أعادنا التجسُّدُ إلى الاتحاد بالله.

* رَفَعَ الصليبُ حكمَ الموت وأبطل الدينونة.

* ردَّنا الابنُ بالقيامة إلى الخلود وعدم الموت.

هذا التحول العظيم والأبدي في علاقة الثالوث بنا، نستطيع أن نراه على هذا النحو من خلال علاقة أقانيم الثالوث:

* **في تجسُّد الابن**: كوَّن الروح القدس الطبيعة الإنسانية، وأرساها على أساسٍ جديد، وهو الروح القدس بدلاً من العدم؛ لأن الخلق من العدم -مع سقوط الإنسانية في آدم- تحول إلى مانع حقيقي لا يمكن عبوره. ولكن تحوَّل الكيان الإنساني في يسوع من العدم إلى الروح القدس، ثم بواسطة اتحاد أُقنوم الابن الكلمة بما يخصُّنا نحن، وهو النفس والجسد. هذا الانتقال أو التحول تعبِّر عنه صلاة المعمودية في كنيستنا القبطية الأرثوذكسية:

"انقلهم

وابدلهم

لكي لا يكونوا فيما بعد أبناء الجسد، بل أبناء الروح".

٧ راجع رسالة الأب صفرونيوس إلى الأب صفنيا، وهي الرسالة الواردة في هذا الكتاب ومحور هذه الدراسة.

وهنا يصبح ”حَدُّ“[٨] الطبيعة الإنسانية المفتداه هو روح الحياة بدلاً من العدم أو الولادة الجسدانية التي بها جميعاً جئنا إلى الوجود والحياة: ”كما في آدم يموت الجميع“ (١كو ١٥: ٢٢)، و”اجتاز الموت إلى الجميع“ (رو ٥: ١٢). وهنا يجب أن نقول –بكل أسفٍ وحزن– إن رفض الشركة في طبيعة الله يعني إنكار تدبير الخلاص برُمته؛ لأننا نظل بدون شركة الحياة واقفين عند ”حَدِّ“ العدم الذي جئنا منه جميعاً، والذي أبطله الرب، علماً بأن العدم هو الكلمة المرادفة لكلمة الموت.

* هكذا أيضاً **رفعَ الربُّ يسوع المسيح حكمَ الموت** ليس كعملٍ خارجي، بل لأن الموت كان فينا، وكان من المستحيل علينا أن نخلص من ”فساد الموت بقوتنا الخاصة“.

* وهكذا يمكننا أن نرى أن **التجسد ردَّنا إلى الشركة**؛ إذ صار يسوعُ هو رأسَ الخليقة الجديدة، وعندما يقول الرسول: إننا ”أعضاء جسمه من لحمه وعظامه“ (أفسس ٥: ٣٠)، فهو يشرح خلق حواء التي أُخذت فعلاً من ”لحم وعظام“ آدم، أي صارت لها طبيعة آدم.

ونحن نُخلَق من آدم الجديد، وفيه بالتحول العظيم والأخير الذي بدأ بالتجسد، ثم تثبَّت بالصليب والقيامة.

ونحن نقترب من كل هذا بواسطة الروح القدس، لا بواسطة الفكر والإرادة الإنسانية فقط، ولا بالإيمان وحده، بل بالاتحاد بالرب بقوة الروح القدس في

---

٨ يقول القديس كيرلس عمود الدين: ”كلمة الله وهو في الجسد حفظ الطبيعة الإلهية، ونحن كنا أقربائه γένος رغم أنه هو بالطبيعة الله. ولكننا صرنا كذلك؛ لأنه أخذ جسداً مثل جسدنا، لذلك فصلة القرابة οἰειότητος مثل صلته بالجسد لأنه –بشكلٍ خاص– له علاقة خاصة حميمة بالآب، والآب له نفس العلاقة الحميمة به بسبب وحدة الطبيعة. نحن كذلك صار لنا علاقة حميمة به لأنه صار إنساناً مثلنا، وبه كوسيط عُدنا إلى الآب لأن المسيح صار هو الحد الذي يجمعنا كلنا μεθόριον ώσπερτι لأن الأُلوهة الفائقة والناسوت صارا واحداً، وجمعا فيه الأشياء التي بالطبيعة تفترق. وهو كإله بالطبيعة واحدٌ مع الآب وأيضاً كإنسان حقيقي، هو واحدٌ معنا“ (In Jo 10:14-15- Pusey 2:232-233)

''ينابيع الخلاص''، أي أسرار الكنيسة المقدسة، لا سيما ''أسرار الانضمام'' إلى ''جسد المسيح'': المعمودية — الميرون — الإفخارستيا.

* **استعلان المحبة وفداء الانسان**؛ لكي يُحب حسب عمل الثالوث .. لقد افتدى الربُّ المحبةَ، ''البذرة'' التي وُضِعَت فينا كأحد مكونات الصورة الإلهية. وكان فداء المحبة ولا زال يعني:

- نزع شوكة الموت.
- نزع شوكة الفساد.

وهكذا صارت المحبة المعلَنة في الثالوث، هي محبة المحبِّ والمحبوب، وهي ذات المحبة التي بها ندخل سر شركتنا مع الرب، وفي الرب؛ لأن الرب يعلِّمنا كيف نكون أعضاء جسده الواحد، أي أن يصبح كل منا وقد نال الطبيعة الجديدة، مُحِبّاً ومحبوباً، وذلك بانسكاب روح المحبة الإلهية فينا.

## المحبة الإلهية محبة أُقنومية

المحبة الإلهية محبة أُقنومية؛ لأنها محبة الآب للابن والابن للآب. فهي محبة حُرة باذلة، لا تأخذ من أي مصدرٍ خارجي، بل تعطي كل ''الغرباء عن الطبيعة الإلهية'' أن يرتفعوا إلى ذات الحرية؛ لأننا هنا في حياتنا على الأرض وبسبب السقوط ورغم الفداء، ما تزال حريتنا محصورة في حرية الاختيار، إلَّا في الذين تحرروا تماماً من سيطرة الطبيعة، وصارت الطبيعة الإنسانية حاضرةً فيهم وحيَّةً متأقنمةً بالنعمة[٩]. ولذلك، وبسبب حصار الخبرة القديمة (الإنسان العتيق) الفاسد ''شهوات الغرور''، وبسبب عدم استعلان المحبة الإلهية في حياة الكنيسة، أصبحنا نفهم المحبة كمشاعر.

٩ أحد اتهامات الأنبا شنودة هي أنني ''أُعلِّم بتحول البشر إلى أقانيم''، ولم يذكر ماذا قلت، وأين، ولم يرد على الاتهام، بل تركه لكي يقع القارئ في ''شَرَك الخوف''. فإذا لم نتأقنم هنا وفي الحياة الآتية .. فماذا سنكون، طبائع فقط؟ .. شيء عجيب.

على أن تأقنُم الحياة والوجود الإنساني في يسوع المسيح ينبني على:

* أننا بدون يسوع المسيح لا نملك شيئاً.

* أننا بالعقل وبكل القدرات المتاحة لنا، لا نقدر أن نحقق شيئاً ما لم يسكن فينا روح الله، البارقليط.

وهنا يجب أن نتوقف قليلاً أمام **الفروق الجوهرية بين محبة أقانيم الثالوث، ومحبتنا نحن:**

**أولاً:** الأقنوم *Hypostasis* هو كائن له ذات و"تعيين" يميِّزه، ولكنه يكمُل بالاتحاد والحلول في الآخر.

**ثانياً:** نحن خُلِقنا على ذات الصورة الإلهية، ولكن جاءت الخطية بالموت، وضرب الموت الكيان الإنساني:

أولاً: بالأنانية وحِفظ الذات، ولذلك دعانا الرب يسوع لأن نكون تلاميذه "بجحد الذات" و"حَمل الصليب".

ثانياً: بالبحث عن الخلود بأي وسيلة، وهذا البحث هو الذي يقوده إلى الخطية؛ لأنه لا يرى أمامه إلا الخواء والفراغ، بل وأحياناً العدم، ولكن الرب أباد الموت وأعطانا الحياة الأبدية، التي عندما نفشل في فهمها واستيعابها، فهذا يُعد دليلاً على أن الحياة الأبدية ليست منا، بل هي عطية نراها في المسيح.

ثالثاً: امتزج هذا ببذرة المحبة، فصارت المحبة الإنسانية متجهة نحو الذات، ولذلك البحث عن الآخر بدون الفداء وبدون التقديس، يعني أننا لن نجد في الآخر إلا "إشباع الرغبات الذاتية"، أي العودة إلى الذات ولكن بواسطة الآخر.

أمَّا في الثالوث، فالمحبة مختلفة، فهي:

أولاً: ليست طبيعة أو صفة تضاف من الجوهر الإلهي إلى الأقانيم، بل هي في كيان كل أقنوم من أقانيم الثالوث تتجه نحو الآخر، لا للشبع؛ لأنه لا يوجد احتياج إلى "الملء"[١٠]، ولكن اتجاه المحبة نحو الآخر هو حركة الحرية التي تعطى بلا قيود، وبحلول كل أقنوم في الآخر تصبح المحبة كاملة، ليست لأنها ناقصة وتكمُل، بل لأن كلمة الكمال إذا استُخدِمت لله تعني الوحدة[١١]، هذه الوحدة تجعل تمايُز الأقانيم هو أحد قوى حركة المحبة في الثالوث.

ثانياً: عندما يستقر كل أقنوم في الآخر، فإن ذلك لا يعني حالة سكون تشبه حالة السكون التي نختبرها نحن عندما نقابل مَن نحب، بل يتحرك كل أقنوم حسبما هو معلَن في التدبير، حركة واحدة بلا انفصال.

* فالآب يرسل الابن لكي يتجسد، ويختبر حدود الطبيعة الإنسانية، ويرفعها فيه إلى حياة متأقنمة يُدخِلها بواسطة الاتحاد بأقنومه إلى ذات الشركة الأزلية مع الآب والروح القدس.

* وعندما يكمُل التدبير وتتحرر الطبيعة الإنسانية من الموت والفساد، تدخل إلى ذات "قدس الأقداس"، أي تتحرك بقوة الاتحاد لكي تنقل لنا، ليس فقط استعلان المحبة، بل تذوقها. وعندما يقول أثناسيوس العظيم إن الابن حملنا فيه إلى السماء، فهو كما قال أيضاً إن القوات السمائية تسجد لنا نحن البشر عندما تمجَّد يسوع[١٢] لأن عظم محبة الثالوث جعلت لنا نحن البشر هذه المكانة التي تتعارض مع طبيعة خلقنا من العدم.

* يحملنا الابن فيه وبالروح القدس أيضاً في حركة صعود –ليس جغرافياً– بل

١٠ "الملء" كلمة هامة جداً خاصة بنا نحن، وهي خاصة بتدبير الخلاص.

١١ حسب شرح ديونيسيوس الأريوباغي – مكسيموس المعترف – الأب صفرونيوس – غريغوريوس أسقف قبرص.

١٢ "حملنا في جسده إلى السماء، بل لأننا في المسيح، فحتى تمجيد القوات السماوية هو تمجيد لنا نحن الذين في المسيح" (راجع ضد الأريوسيين ١: ٤٢).

بالرؤية إلى مكانتنا في المسيح كابن؛ لأنه تنازل وفي نزوله إلينا رفعنا من رتبة العبيد إلى رتبة الأبناء "لأنه مملوء نعمة"، ولأنه هو "الحق" المعلَن لنا في روح الحق[١٣].

وإخلاء الذات الذي عبَّر عنه رسول الرب في فيلبي ٢: ٦ — ٨ هو ذات إخلاء الذات للآب الذي يخلي ذاته لكي يعلِن الابن، والابن يخلي ذاته في صورة العبد لكي يعلِن الروح، والروح يخلي ذاته بالحلول فينا[١٤]، وهو حلول يعبُر فيه الروح القدس من قداسته إلى فساد وجهل وعناد ودنس الإنسان

١٣ راجع، القديس باسيليوس في كتابه عن الروح القدس، ترجمة د. جورج حبيب بباوي، الطبعة الثانية، ٢٠١٤، القاهرة، جذور للنشر، ف ٦: ١٤، ٩: ٢٣، ١٠: ٢٦. أمَّا عن انحدار الروح القدس ونزوله إلينا في المعمودية، فيقول القديس باسيليوس: "يسكب الروح القدس القوة المحيية، ويجدد نفوسنا من موت الخطية، ويعيدنا إلى الحياة الأولى (السابقة على موت آدم)" (ف ١٥: ٣٥، ص ١١١). ويقول في نفس الفصل: "بالروح القدس استعدنا سكنانا في الفردوس، وصعودنا إلى ملكوت السموات، وعودتنا إلى رتبة (مكانة) البنوة، وحريتنا لأن ندعو إلهنا الآب، وشركتنا في نعمة المسيح، وتسميتنا أبناء النور، وميراثنا في المجد الأبدي" (ف ١٥: ٣٦، ص ١١٢ من الترجمة العربية).

١٤ راجع شذرة عن أنَّات الروح القدس من رسالة ديونيسيوس أسقف الإسكندرية (٢٤٨م – ٢٦٥م). يشرح ديونيسيوس بابا الاسكندرية وتلميذ العلامة أوريجينوس، أنَّات الروح القدس الذي يخلي ذاته لكي يسكن فينا، فيقول:

"ما هو معنى كلمات الرسول: "الروح نفسه يعين ضعفنا، لأننا عندما لا نعرف كيف نصلي أو ماذا نصلي، الروح يشفع فينا بأنات لا يُنطق بها" (رو ٨: ٢٦ — ٢٧)؟ لا يقبل الروح الكلي القداسة أن يسكن حيث توجد خطية، ولكنه هو نفسه الآن يحيا إلى الأبد في قلوبنا البشرية الخاطئة.

ما أعمق معاني كلمات الرسول بولس: "أنَّات لا ينطق بها". لقد قال الرسول نفسه في موضع معين: "لا تطفئوا الروح" (١ تس ٥: ١٩)، ونحن كثيراً ما نطفئ الروح عندما يصبح قلبنا بارداً، وهو ما حذَّرنا منه الرب يسوع المسيح، لأن القلب يبرد بالإثم (متى ٢٤: ١٢).

المحبة هي رباط، ولكن ذلك الرباط ليس للعبودية، بل هو رباط الروح الذي يطهِّرنا من الأنانية. فالروح الذي هو نار المحبة الالهية نحن لا نهتم به، وهو يصرخ فينا، نحن نسكب عليه مياه الخطية الباردة لكي نطفئ اللهب، وهو يعاني ويتألم من طردنا إياه، إلاَّ أنه لا يتركنا إلاَّ في يوم الدينونة. يشتاق الروح أن يعطي لنا كل الصلاح، إلاَّ أنه يرى أن قلوبنا باردة.

لقد أخلى الروح ذاته وتخلى عن قداسته لكي يغسل قذارتنا. هل رأى أحدٌ منَّا ملكاً عظيماً يخلع تاج ملكه وملابسه الملوكية لكي ينحني لكي يغسل قذارة شحاذ مغطَّى بالقذارة، ثم يضمد جراحه، ويُلبسه ملابس ملوكية، ثم يئن مشتاقاً لأن يعطي له التاج والملابس الملوكية.

حقاً يتواضع الروح أكثر من تواضع الابن عندما تجسد؛ لأن الابن أخذ نفساً وجسداً من مريم وجعلهما مقدَّسَين بالاتحاد بالطبيعة الإلهية، ولكن عندما يعمل فينا الروح القدس، نحن الذين ليس لنا طبيعة مقدسة لكي يعمل فيها، بل مدنسة بالخطية فهو يخلي ذاته"

-مهما كان- ولذلك يشفع فينا بأنين لا يوصف، حيث يتنازل إلينا لكي يرفعنا، ولكي ندخل ذات حركة المحبة في الآب والابن والروح القدس.

* عند استدعاء الروح القدس، يتحرك الثالوث لكي يواجهنا بالروح القدس -حسب وعد الرب يسوع- وينقلنا إلى مصدر حياتنا الجديدة في المعمودية وسر المسحة والإفخارستيا، ثم ينقلنا الابن فيه إلى الآب. ولذلك، لعل القارئ والمصلي قد لاحظ أن الصلاة الربانية هي خاتمة كل صلاة قسمة في قداساتنا: "لكي نجسر بدالةٍ أن ندعوك يا الله الآب القدوس الذي في السموات ونقول أبانا .."، أو غيرها من العبارات المماثلة؛ لأن التناول من جسد الرب ودمه على المذبح يجعلنا "واحداً في يسوع المسيح ربنا، وينقلنا إلى الآب لكي نستريح فيه ونستقر فيه منتظرين استعلان فداء الجسد" (رو ٨: ٢٣).

-٣-

# الثالوث يشرح التوحيد، ويعلنه من خلال أعمال التدبير

**١-** الذين أثاروا وحدانية الله في زمن الآباء، واعتَبَر بعضهم أن التوحيد هو التعليم الصحيح في المسيحية أخطأوا تماماً في مسألتين:

الأولى: إن إعلان التوحيد في العهد القديم كان محصوراً في محاربة الوثنية وتعدُّد الآلهة. واعتبار أن الله الواحد هو مخلص إسرائيل وفاديه، بل هو الزوج الوحيد للشعب الزاني وراء الآلهة الأخرى؛ هو الذي جعل صوت الأنبياء يؤكد ما جاء في الوصية الأولى: "أنا هو الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر لا يكن لك آلهة أخرى أمامي" (خروج ٢٠: ٣)؛ لأن الربَّ "بذراع قوية" فدى الشعب من العبودية، فظهر التوحيد في قدرة الله على الدفاع عن الشعب وهزيمة الآلهة الأخرى.

الثانية: إن الوصية الأولى لها الجانب السلبي، فهي تحذر من الآلهة الأخرى، ولكنها تترك الجانب الايجابي لأعمال الخلاص، وما أكثرها في العهد القديم.

**٢-** جاء إعلان الثالوث في إرسال الابن من عند الآب، ثم إرسال الباراقليط من عند الآب بواسطة الابن. **ولهذا السبب لم يقل المسيح إنه "الله"، بل "ابن الله"؛ لأنه لم يتحدث ولم يعلِّم عن الله، بل عن الآب.** وبعد أن علَّمنا عن الآب، أرسل لنا المعزِّي.

إذن، مركز اعلان الثالوث هو الابن. ولذلك، الاعلان عن أُبوة الأقنوم

الأول هو قلب هذا الاعلان. ولنفس السبب لم يذكر المسيح كلمة ''الله'' إلَّا مرتين، الأولى على الصليب: ''إلهي إلهي لماذا تركتني''، والثانية: ''أصعَدُ إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم''. أمَّا في كل مرة علَّم فيها، كان الكلام والتعليم محصورين في إعلان الآب. وعلى ذلك، فالادعاء بأن المسيح ليس هو الله لأنه لم يقل أنا الله، هو ادعاءٌ مجحفٌ وكاذب؛ لأن المسيح لم يأت لكي يعلِّم عن الله، بل عن الآب، وبالتالي فهو ابن الآب. وحتى عندما اعترف بطرس في قيصرية فيلبس: ''أنت هو المسيح ابن الله الحي''، أجابه الربُّ: ''طوباك يا سمعان .. ولكن أبي الذي في السموات ...''، فالآب هو الذي أعلن بنوة الابن لسمعان بطرس. هذا الإعلان ليس رجاحة وذكاء عقل، بل هو إعلانٌ سماوي، ولذلك أُلوهية الرب يسوع ليست موضوعاً منفصلاً يُدرَس على حدةٍ. هذا خطأٌ في قبول وفهم التدبير لأن أُلوهية الرب يسوع هي قلب إعلان التوحيد المسيحي؛ لأن عبارة ''الله واحد'' هي في حقيقة الأمر ''الله الآب''، وليس الله فقط، عارية أو بدون اسم الآب؛ لأن الله الآب هو أبو ربنا يسوع المسيح.

كما أن الادعاء بأن المسيح رب المجد لم يقل إنه هو الله، هو ادعاءٌ رخيص جداً؛ لأن أُلوهة الرب يسوع ليست في إطار التوحيد كما هو معروفٌ في الإسلام، بل لأنه معلَنٌ في شخص الابن الذي علَّمنا عن الآب. ولذلك، فإن غياب اسم ''الآب'' من الكتابات غير المسيحية، يجب أن يكون موضع اهتمام منا؛ لأن المعلَن في المسيحية هو أبوة الله، وليس فقط الله.

– ٤ –

# تمايُز الأُقانيم،
# قاعدةُ الخلاص حسب التدبير

تسلَّمنا من الآباء قاعدتين:

**الأولى:** إن الثالوث لا يمكن فصله، بل هو الوحدانية، والوحدة الحقيقية.

**الثانية:** إن كل شيء يعمله الآب بالابن في الروح القدس، تلك القاعدة التي وردت عدة مرات في رسائل القديس أثناسيوس إلى سرابيون عن الروح القدس.

## القاعدة الأولى:

القاعدة الأولى خاصة بإعلان المحبة الإلهية؛ لأن ’’المحبة لا تنقسم عندما تعطي، ولا تنقص بالعطاء، بل تجمع لكي توحِّد‘‘. ولذلك، فإن محبة الثالوث هي محبة واحدة، هي محبة الآب والابن والروح القدس. وعندما يقول الرسول: ’’هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد‘‘ (يو ٣: ١٦)، فإن استخدام كلمة ’’الله‘‘ هنا بدلاً عن الآب هو استخدامٌ مقصود يؤكِّد محبة الثالوث؛ لأن عمل الله واحد، أي عمل الثالوث.

فمحبة الآب أرسلت الابن، وإرسالية الابن ليست حركة انتقال في الفضاء خارج الذات الإلهية –كما يتصور السُّذَّج– بل هي حركة البذل الواحد؛ لأن الذي جاء إلينا ’’مساوٍ للآب‘‘، و’’كل ما هو للآب هو لي، أنا في الآب والآب فيَّ‘‘. هذه الكلمات ليست خاصة بالمساواة فقط، بل أيضاً خاصة

بالمحبة، محبة الآب هي ذات المحبة التي لي، فهي ليست محبة أخرى، ولذلك أرسل الآبُ ابنه إلى العالم لكي يخلص به العالم. وهكذا جاء المحبوب حاملاً معه وفيه ذات محبة المُحب، ومُسِح بروح المحبة، الروح القدس (رو ٥: ٥)، فصار المحبوب ''الحال بيننا''، أو ''الساكن فينا'' نحن البشر، هو الحضور الإلهي للمحبة، وهو الإعلان عنها. وعندما تعلَن المحبة، فهي تُعلَن للشركة؛ لأن المحبة لا تعرف ''استعراض مواكب الكبار وعظماء الدهر''، بل تعرف كيف تعطي، وما هي غاية العطاء.

وإذا توقفنا أمام غاية العطاء *goal* حسب ما هو مسلَّم لنا في القاعدة الأولى، وجدنا أنفسنا أمام ثلاث خصوصيات:

**الأولى**: إن المحبة تُشرِك، وغاية الشركة –حسب إعلان البشارة المفرحة– هي تحرير الإنسان من مستواه الحقير ''العبد'' إلى رتبة ''الابن''، ليس بالكلام لأن المحبة في المسيحية ليست كلاماً، ولا هي إعلاناً لفظياً، بل هي إعلانٌ شخصي في أشخاص أو أقانيم الثالوث.

**الثانية**: إن الشركة ليست شركة في مجرد شيء، أو تقديم فكرة، أو عطاءٍ مخلوق، هذا ينفي عن المحبة أهم صفاتها، وهي أنها عندما تقدِّم فهي لا تقدِّم الأقل، بل الأعظم، والمقياس هنا هو تقديم الابن إلى العالم (يو ٣: ١٦). أما تقديم أي شيء من الخليقة، فلا يخلق شركة بين الله والإنسان، بل يعيد الإنسان إلى الخليقة؛ لأن العطاء يحدد الغاية، و''يسجن'' الإنسان مرة أخرى في الخليقة.

المحبة تقدِّم الأعظم عندها لا عند الإنسان؛ لأن الأعظم عند الإنسان –مهما كان– لا يمكن أن يكون مساوياً أو حتى مشابهاً للعطية الإلهية.

**الثالثة**: إن المحبة توحِّد. الشركة والعطاء معاً هما حركة توحيد. ولذلك يقول الأب صفرونيوس: الشِّركُ في المحبةِ توحيدٌ''. وقد تبدو العبارة غريبة لأنها تجمع

بين نقيضين، الأول هو الشِّرك، والثاني هو التوحيد. ولكن الشِّركَ في المحبة فقط، ليس فقط جائزاً، بل مطلوباً كغايةٍ توحّد، وهنا لابُد أن نعيد ما سبق وقلناه، وهو إنه لا توحيد بغير تمايزٍ، ولا اتحاد بالله يقوم على تلاشي الفوارق؛ لأن هدم أو إزالة الفوارق بين الله والإنسان يهدم المحبة؛ لأن المحبة تعطي للآخر الذي هو مختلف ومتمايز.

الشِّركُ خارج المحبة هو الوثنيةُ بعينها، لكنه في المحبة هو المسيحيةُ ذاتها؛ لأن شركتنا هي مع الآب ومع ابنه ربنا يسوع المسيح (١ يو ١: ٣).

نخلص من ذلك إلى إن التدبير، أي خلاصنا هو عودتنا إلى الله، إلى الشركة، وإلى أن توحّدنا المحبة الإلهية بالثالوث.

## القاعدة الثانية:

من الآب تأتي البنوة بالابن، وتعطى بالروح القدس. ولذلك يُوصف الروح القدس بأنه روح الابن (غلا ٤: ٤ – ٦). ولا يجب أن نهتم بانحراف الغرب والادعاءِ بأن الروح القدس منبثقٌ من الآب والابن؛ لأن انبثاق الروح القدس ليس حركةً خارجيةً في فراغٍ، بل هو حركة المحبة الإلهية، ولذلك الروح القدس منبثقٌ من الآب وحده ومستقرٌّ في الابن.

كما أن إرسال الابن إلينا من الآب، ليس إرسالاً وحركةً في فراغ، بل هي حركة "انحناء الآب" نحو الإنسانية لكي يأخذ الابن الوحيد شكلنا وطبعنا، فالتجسد، وهو خاصٌ بالابن، إلَّا أنه عطية الآب لنا حسب يوحنا ٣: ١٦ "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد". وهنا، تصبح الحقيقة المعلَنة في تجسد الابن، ليست رسالةً لفظيةً، بل استعلاناً للكيان الإلهي في جسدنا، وهبة هذا الكيان كله بعد مراحل التدبير للإنسانية، أي بعد رفع الدينونة وإبادة الموت وتمجيد الإنسانية بالحياة الأبدية والتبني؛ لأن تجسد الابن الوحيد له المجد

من الروح ومن والدة الإله هو هبة الثالوث لنا في عطية محبة واحدة.

لذلك؛ لم يكن التجسد هو "تواضع" الابن وحده، بل هو أيضاً تواضع الآب والروح القدس، ليس فقط بسبب وحدة الجوهر، بل أيضاً لأن التواضع الإلهي ليس قاصراً على أقنوم دون الباقين؛ **لأن التمايُز في العمل ليس تمايُزاً في الطبيعة، بل هو تمايُز وجود وتمايُز كيان له ذات الطبيعة. ولذلك، فما يقال عن أي أقنوم هو ذاته ما يقال عن الأقنومين الآخرين من جهة الكيان والمحبة، لا من جهة العمل لأن الآب لم يلبس الناسوت الإنساني، بل جاء الابن لكي يعطي لنا البنوة، وقد جاء كابنٍ، وظلّ الابنُ وسيظل الابن إلى الأبد؛ لكي تبقى عطية البنوة لنا عطيةً أبديةً.**

كما أن إخلاء الذات (فيلبي ٢: ٦)، ليس قاصراً على الابن وحده، بل هو يعلن لنا إخلاء الذات للآب أيضاً، ويتبعه إخلاء الذات للروح القدس الذي يسكن فينا نحن الخطاه.

كيف أخلى الآبُ ذاته؟ بأن ترك الإعلان عن أُلوهيته للابن، وهو إعلانٌ يعطى بواسطة التجسد – الصلب – القيامة – الصعود – الجلوس عن يمين الآب، وهو أمرٌ ضروريٌّ جداً؛ لأن الاخلاء ينتهي إلى غايةٍ، وهي انتصار المحبة وغلبة الله.

هذا بدوره يقودنا إلى التمييز بين الأقنوم والعمل المشترك الذي يقوم به الثالوث، أي الأقانيم الثلاثة على هذا النحو:

أولاً: يصبح تخصُّص أي أقنوم في عملٍ معيَّنٍ مثل تجسد الابن هو محور أو مركز الإعلان والقوة الإلهية التي تدعو إلى الشركة فيه وفي الآب والروح القدس.

ثانياً: يصبح العطاء ليس قاصراً على عطيةٍ من أقنوم مثل عطية الروح القدس التي وردت دائماً في العهد الجديد بصيغة المفرد (باعتبار أن

كلمة العطية كما سبق أن قلنا خاصة بأقنوم الروح القدس)، بينما وردت كلمة المواهب دائماً بصيغة الجمع. لهذا، فإن عطية الروح القدس هي من الآب، وتُعطى لكي تثبِّت المؤمنين في الابن وتعلن الابن (يو ١٦: ١٤).

ثالثاً: يصبح شفاء الطبيعة الإنسانية من الموت والخطية، ورفع الدينونة هو عمل الثالوث، وليس عمل الابن وحده، رغم أنه هو مركز إعلان المصالحة (٢كور ٥: ٢١)؛ لأن الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه. وهنا نلفت النظر بشدة إلى حدثٍ عجيبٍ ومدهشٍ في خدمة الرب يسوع المسيح، فلأن الابن المتجسد هو في الآب والآب فيه، فقد أصبح الناسوت ليس غريباً أو دخيلاً على هذه العلاقة، أي علاقة الحلول المتبادَل بين أقانيم الثالوث *Perichoresis* لكن المدهش حقاً هنا هو أن تواضُع الابن حَمَلَ الناسوت إلى هذه العلاقة الجوهرية بين الآب والابن، أي إلى تلك العلاقة التي تؤهل الناسوت لأن يكون هو أيضاً في الآب، وإن كان ذلك بسبب اتحاده بالابن. فيدخل في هذه العلاقة تدريجياً حسب شرح آباء الاسكندرية أثناسيوس الرسولي وكيرلس الكبير، وكلاهما يتحدث عن نمو الناسوت[١٥] في استيعاب الاتحاد، حتى يصل إلى الكمال بإبادة الموت وتحرر الناسوت، أي ناسوت المسيح نفسه من الموت[١٦] ورفع حكم الدينونة، ودخول الناسوت إلى مجد الآب والروح القدس بالقيامة والصعود والجلوس عن

---

١٥ المقالة الثالثة ضد الأريوسيين ٥١، ٥٢.

١٦ ”كان جسده هو أول ما تم تخليصه وتحريره، إذ أن هذا الجسد هو جسد الكلمة نفسه. وهكذا، إذ صرنا متحدين بجسده، خلصنا على مثال جسده. بهذا الجسد صار الرب هو قائدنا إلى ملكوت السموات؛ لأنه هو يقول أنا هو الطريق (يو ١٤: ٦)“ (القديس أثناسيوس، ضد الأريوسيين ٢: ٦١). كما يقول: ”لأنه هكذا خُلِقَ المخلص بحسب الجسد، وصار أول الذين خُلِقوا من جديد، واتخذ باكورتنا التي هي الجسد البشري الذي لبسه“ (ضد الأريوسيين ٢: ٦٦).

يمين الآب. لذلك، من التعبيرات اللاهوتية الهامة للقديس أثناسيوس تعبير ''الحضور المتجسد لله الكلمة''[١٧] وهو حضورٌ اتسع فشَمِلَ حضور المسيح كرأسٍ في السماء ينقل إلينا مجد الحياة الجديدة.

١٧ راجع ضد الأريوسيين ١: ٥٩، ٢: ٥٥، ٢: ٦٦، تجسد الكلمة فصل ١٨. يقول أيضاً القديس أثناسيوس: ''تقدُّمٌ خاصٌّ بالجسد، لهذا ففي تقدُّمه كان يزداد أيضاً ظهور اللاهوت فيه لأولئك الذين رأوه، وكلما كان اللاهوت يُستعلَن أكثر فأكثر كلما ازدادت نعمته كإنسان أمام كل الناس'' (ضد الأريوسيين ٣: ٥٢). وأيضاً: ''لأن الرب أعطى الكمال لجسده، وكان الجسد هو الذي يتقدم نحو الكمال'' (ضد الأريوسيين ٣: ٥١). ولذلك يقول العظيم أثناسيوس: ''ابن الله لم يتقدم لأنه كامل في الآب، ولكنه أخلى ذاته (حرفياً: أنقص ذاته) لأجلنا؛ لكي بتواضعه نستطيع نحن أن نتقدم وننمو ...'' (ضد الأريوسيين ٢: ٥٢).

-٥-

# موت الرب يسوع على الصليب، والحلول المتبادل لأقانيم الثالوث

الآب في الابن والابن في الآب حتى وهو معلَّقٌ على عود الصليب. ولذلك، عندما سلَّم الابنُ جسده للموت، فقد حدث هذا وهو في "حضن الآب" (يو ١: ١٨)، فتم حكم الموت على الإنسانية ورُفِعَ فوراً عن البشر[١٨] للأسباب الآتية:

**١-** لأن الذي مات هو نفسه الذي أباد الحكم، وبذلك تحقق الغفران بيد وبسلطان مَن يملك الحكم نفسه، أي الثالوث القدوس. لأن كلمات الله: "ترابٌ أنت وإلى ترابٍ تعود" (تك ٣: ١٩)، هي كلمات خاصة بالثالوث، نطق بها الآب والابن والروح القدس.

**٢-** أُبيد الموت في "حضن الآب" (يو ١: ١٨)، فتحررت الإنسانية (الطبيعة الإنسانية) تماماً؛ لأن تقديم الابن لذاته بالموت بإرادة الآب ذبيحةٌ بلا عيب (تجسد الكلمة ٩: ١)، ليس فيها العصيان ولا حتى الخطية، بل أبادت هي العصيان والخطية وشوكة الخطية "الموت" (رو ٥: ١٢).

**٣-** قداسة الابن الذي لأجلنا "قدَّس ذاته" (يو ١٧: ١٩)؛ لكي نتقدس نحن به، وفيه كانت قوة الذبيحة التي قُدِّمَت عن العالم كله، ومن أجل الكل. هذه القوة هي التي جعلت الابن يصرخ بكلمات المزمور: "لماذا تركتني" (مز ٢٢: ١)، فقد كانت صرخة المحبة البنوية التي عبَّرت عن يأس كل مَن هو

١٨ راجع تجسد الكلمة ٩: ٢، ص ٢٣ – ٢٤، ترجمة د. جوزيف فلتس.

مِن آدم، وخوف كل مَن هو مِن آدم، وعتاب كل مَن هو مِن آدم؛ لكي تحل محلها هذه الصرخة: ”في يديك استودع روحي“ (لو ٢٣: ٤٦).

نحن لا نستطيع أن نغوص في أعماق سر موت الرب على الصليب إلَّا بقدر ما تسمح به الأسفار المقدسة وتسليم الآباء، ولذلك **يجب أن نتوقف أمام ثلاث حقائق هامة عن حركة المحبة الأقنومية عندما مات الرب على الصليب:**

أولاً: حَمَل الأقنوم الثاني جسده القابل للموت[١٩]، ودخل كما كان قبل الصليب إلى ”حضن الآب“، فصار بعد تحرره من الموت جسداً حيَّاً بقوة الاتحاد بلاهوت الابن الكلمة، ولذلك لم يرَ فساداً (مز ١٦: ١٠، أع.٢: ٢٧، ٣١، ١٣: ٣٥). هكذا تحركت المحبة الإلهية لكي ترفع الموت وتضع الخلود وعدم الموت، بل مجد الحياة الجديدة في الناسوت بقوة حركة الحلول المتبادَل. فقد قدَّم الابن ذاته على الصليب بالروح القدس (عب ٩: ١٣). ومُسِحَ لكي يقدِّم ذبيحة حياة لا ذبيحة موت، حياة تنقض أوجاع الموت (أع.٢: ٢٤)، ولذلك كانت قوة الحياة في الابن، ومحبته للآب، ومحبة الروح القدس له، ومحبته للروح القدس، هذه المحبة المثلثة، هي التي أفاضت على هذه الذبيحة مجد الحياة الآتية، وجعلت الرب يدخل إلى قدس الأقداس السماوي حيَّاً بذبيحة نفسه، أي ذبيحته الذاتية لكي يفتح باب الحياة الأبدية لكل المؤمنين.

ثانياً: عندما قدم الابن ذاته، فهو لم يقدم الناسوت بدون اللاهوت؛ لأن المسيح الواحد لا ينقسم عندما يخلِّص الآخرين من الانقسام، بل قدَّم ذاته إلهاً متجسداً من طبيعتين.

وتبادُل الصفات αντίδοσις τώ ιδιωμάτων في الأقنوم الواحد كان

١٩ راجع على سبيل المثال لا الحصر تجسد الكلمة، ف ٢٠: ٤، راجع أيضاً المحاضرة الثامنة من محاضرات في تجسد الكلمة، ص ٢٠ وما بعدها، منشورة على موقع الدراسات القبطية والأرثوذكسية.

عملاً عجيباً حقاً. لقد قدَّم ذاته بقوة الإرادة الإلهية حسب التدبير المعلَن المعروف قبل خلق العالم (١ بط ١: ٢٠)، وفي هذا التقديم عينه على الجلجثة وفي ''حضن الآب'' كانت إرادته هي ذات إرادة الآب، وهي ذات إرادة الروح القدس؛ لأن للثالوث القدوس إرادة واحدة، فأصبح ''حَملُ الصليب'' هو طريق البذل الذي يقدِّمه الابنُ لكل المؤمنين؛ لكي يفتح هذا البذلُ ''حضنَ الآب'' للكل، وهو ''الحضن'' الذي تم فيه البذل بالإرادة قبل الزمان، وأُعلِن في الزمان على الجلجثة، وقبل ذلك في علية صهيون عندما بذل الرب جسده ودمه حُرَّاً، وبإرادته قدَّم بيديه جسده ودمه كما يفعل الآن في كل قداس إلهي؛ لأن التقديم ظاهرياً وحسب ما هو محسوس يُعطى بشكلٍ منظور، ولكن خلف ما هو منظور، يكمن ما هو أبدي في المشورة الإلهية للثالوث.

ثالثاً: كيف يجب أن نفهم موت الرب يسوع على الصليب كعمل واحد للثالوث؟

بدايةً يجب أن نعلم أن الموت ليس قوةً إيجابيةً مثل النور، بل هو ''سلب'' ونهاية ما هو موجود. قوة هدم تعمل على أربعة محاور وردت كلها في الفصول الخمسة الأولى لكتاب تجسد الكلمة:

المحور الأول:

الخلق من العدم. ما خُلِقَ من العدم قابلٌ للموت، وعبارة معلِّمنا العظيم أثناسيوس هامة جداً: ''الإنسان خُلِقَ من العدم، فهو **فانٍ** بطبيعته''، وقد ظهر هذا الفناء في انفصال النفس عن الجسد.

المحور الثاني:

التعدي، أي الخروج على الدائرة المحددة للطبيعة التي خُلِقَت من العدم طلباً للخلود بدون الله. **والتعدي أو السقوط ليس مجرد انحراف، بل هو حياة**

**خلقها آدم لنفسه قابلة للفناء؛ لأن مصدرها هو الطبيعة المخلوقة التي لا تقوى على البقاء بقدراتها،** والآن قد صارت خارج دائرة وجودها الحقيقي قابلة للانكسار والفناء بسرعة أكبر وأسرع من سرعة الفناء الطبيعي.

المحور الثالث:

تعدي الوصية، وهو ما خَلَقَ فجوةً بين مصدر الحياة، أي الله والإنسان، وهو ما يُوصَف دائماً بفقدان الشركة.

المحور الرابع:

الحكم على التعدي الذي سبق وأُعلِن للإنسان، والذي لا يمكن أن يُتراجع عنه؛ لأن الله ''أبو الحق لا يمكن أن يكذب ليخلص الإنسان''.

## وهنا يجب أن يكون واضحاً لدينا:

أولاً: لم يكن للفناء قدرةٌ -أيّاً كانت - على أن تهدم كيان الابن، فكيف يقبل ''إيجابياً'' ما هو ''سلبي''؟ هنا يضع الرسول بولس عبارته المشهورة عن الابن: ''صار ذبيحة خطية لأجلنا'' (٢ كور ٥: ٢١)[٢٠]. والفكر السائد بأنه صار ''خطيةً'' يعبِّر عن جهلٍ حقيقي بعمل الطبيب والراعي الصالح والإله المتجسد الذي جاء لكي يعالج، لا لكي يقع هو نفسه في حفرة المرض.

لقد قابل الربُّ ''الفناء'' أو ''الموت'' في ''جسده'' قبل أن يدخل ''ظلمة'' الموت كي يبددها، ولا يوجد فرقٌ بالمرة بين أن نقول إن الربَّ مات على الصليب، أو إنه نزل إلى الجحيم.

إن صرخة الرب ''إلهي إلهي لماذا تركتني'' هي صرخة النور في مجاهل الظلمة حيث الحياة الكائنة في الهاوية أو الحفرة ''شيئول *Sheol*'' حسب الوصف

٢٠ راجع شرحاً تفصيلياً موسعاً لهذا النص، كتابنا موت الرب على الصليب حسب تسليم الآباء ص ٦٦٩ وما بعدها. والكتاب منشور على موقع www.coptology.com

العبراني بأن البشر الموتى ليسوا سوى ''خيال'' (مز ٨٨: ١٠) بلا فكر، حيث بدد الموت قدرتهم على التفكير، والفكر من علامات الحياة، بينما حياتهم هي حياة ''أشباحٍ'' تحيا على هامش الحياة. هكذا قابل الرب هذا في جسده ونفسه الإنسانية، وسمح بأن يموت لكي يُبطل قوة الفناء، أي قوة الهدم.

ثانياً: لم يكن الرب بالمرة يوماً من ''متعدِّيّ'' الشريعة، أو عَرِفَ العصيان والتمرد الآدمي، بل ''سِيق إلى الذبح مثل حملٍ'' (أش ٥٣: ٧)، **فكيف يموت وهو لم يخرج خارج دائرة وحدود إنسانيته؟**

والجواب الشائع عن أنه حلَّ محل الخطاة، أهمل ثلاثة جوانب كبرى:

الجانب الأول:

هو أن ثمرة الخطية هي الموت. والرب لم يكن ''خاطئاً'' بالمرة، فكيف يأخذ الثمرة من مصدرها الحقيقي أي الخطية؟ والجواب يجب أن يكون نفياً؛ لأنه لم يقبل موت الخطية ولا حتى موت الخطاة، بل قَبِلَ وأراد ''موت المحبة''، أي العمل الإرادي الحر لأنه صُلِبَ بحرية إرادته (يو١٠: ١٨)، حيث ''لا يقدر أحد أن يأخذها أي حياتي مني. هذه وصية الآب الذي هو أعظم من الكل'' (راجع يو ١٠: ١٨).

يقول أوغسطينوس تعليقاً على وشرحاً لكلمات الرب: ''لي سلطان أن أضعها'':

> ''بهذه الكلمات يؤكد أن موته ليس نتيجةً لخطيةٍ فيه، ولكن بسلطان إرادته، ولذلك: كيف ولماذا ومتى، وكل ما يخص موته، هو خاصٌ بالكلمة الذي اتحد بالجسد وصار واحداً مع جسده، ولذلك قال: ''لي سلطان أن أضعها'''' (الثالوث، الكتاب الرابع، ١٣: ١٦).

وقبل أوغسطينوس، قال معلمنا أثناسيوس الرسولي:

"يموت البشر ليس حسب إرادتهم وسلطانهم، بل خضوعاً للضرورة والطبيعة وضد إرادتهم. أما الرب الخالد (عديم الموت)، وقد أخذ جسداً قابلاً للموت، إلَّا أنه كإله، كان لديه السلطان أن يترك جسده وأن يعود إليه عندما يريد، وعن ذلك يقول داود في المزمور: "لأنك لم تترك نفسي في الهاوية ولا تدع قدوسك يرى فساداً" (مز ١٦: ١٠)"

(ضد الأريوسيين ٣: ٢٩).

ويقول غريغوريوس النيصي:

"سبق الربُّ وأخبر قبل آلامه أنه بحريته سوف يفصل جسده عن نفسه، ولذلك قال: "لا يقدر أحدٌ أن يأخذها مني، بل أنا أضعها بإرادتي، لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً.

اللاهوت قبل التجسد وفي التجسد ظلَّ غير قابلٍ للتغيير كما كان منذ الأزل، ولكن في الآلام –حسب التدبير– أي آلام جسده، أكمل اللاهوتُ التدبيرَ لأجلنا بفصل النفس عن الجسد دون أن ينفصل اللاهوت عن النفس أو الجسد، بل ظلَّ متحداً بهما رغم الانفصال ثم عادت النفس بقوة اللاهوت واتحدت بالجسد لكي تعطي لكل من له طبيعة إنسانية بدايةً جديدةً باتحاد النفس بالجسد في القيامة من الأموات عندما يلبس الفاسد عدم الفساد، والمائت عدم الموت؛ لأن باكورتنا أ المسيح قد نقلنا وحوَّلنا

إلى الطبيعة الإلهية عندما اتحد بجسده[٢١]"

(ضد أنوميوس ٢: ١٣).

الجانب الثاني:

إن كل تصور عن الانتقام والغضب .... إلخ من تصورات سادية، هي ليست فقط ضد تعليم الرب نفسه، بل هي دعوة لتقسيم الثالوث. ويجب أن ننتبه إلى إن موت ربنا يسوع المسيح له المجد، ليس فقط موتاً اختيارياً حسب قول الرب نفسه: "لهذا يحبني الآب لأنني أضع نفسي" (يو ١٠: ١٨)، ولكن يجب أن نقف أمام هذه الحقائق:

١- هو موتُ مَن له سلطانٌ على الموت، وأقام الموتى قبل موته.

٢- هو موتُ مَن هو خالق الكون لأنه الكلمة.

٣- هو موتُ مَن مُسِحَ بالروح القدس لكي يُشرِك الروح القدس في خدمته.

هذه العناصر الثلاثة غائبة من كل رموز العهد القديم عن الذبائح والتقدمات، ولكن هذه العناصر أو الحقائق تقوم بدور إيجابي في التدبير وفي إعلان الثالوث كالتالي:

أ- إن من له سلطان على الموت والموتى قد مات، وبموته صار انفصال النفس عن الجسد بدايةً للقيامة، وليس نهايةً للوجود الإنساني. فقد سَدَّ اتحاد اللاهوت بالناسوت هذه الفجوة، وصارت "الباكورة"، أي المسيح هو "بكر الراقدين" لا انفصال فيه للنفس أو الجسد عن اللاهوت أو الناسوت، وصار ذلك ميراثاً لنا، ميراثاً أبدياً.

هذا هو ما هدم الموت، وهدم حكم الموت الذي يُخضِع الإنسان لهذا الانفصال بلا رجاء في العودة إلى الحياة مرةً ثانيةً، ولكنه سيعود إلى الحياة الأبدية، حياة الخلود وعدم الموت.

٢١ راجع القسمة السريانية في الخولاجي المقدس: "هكذا بالحقيقة تألم كلمة الله بالجسد".

ب- إن الكلمة هو خالق الكون، وهذه الحقيقة لا يجب أن تتوه في خضم حشر فكر لاهوت العصر الوسيط أو نظريات الكفارة التي اشتهرت بين الكتاب الأقباط في القرن العشرين في موضوع الفداء. هنا يجب أن نقف أمام هذه الحقيقة التي تُظهر لنا أن الكلمة الذي خلق كل الأشياء بقوته (كولوسي ١: ١٥)، هو ذاته الكلمة الذي يقبل أن يلاشي حكم الموت كخالقٍ للإنسان؛ لأنه مع الآب والروح القدس قد اشترك في ذات الحكم: ''ترابٌ أنت وإلى التراب تعود''. هنا في ''حضن الآب'' يسقط الحكم، وتسقط الدينونة؛ لأن ذلك هو فرح الآب ومسرته، وهي وصيته التي جاء الابن لكي يكملها، وحسب عبارة ذهبي الفم: ''ما أعمله هو صالح في عيني الآب'' (عظة ٦٠: ٢ – ٣ على إنجيل يوحنا).

لقد أكمل التدبير غاية الخليقة، وهي الخلاص. وموت الخالق الكلمة على الصليب هو موتٌ ''طوعيٌّ'' يؤكد قدرة الخالق على أن يحوِّل الموت إلى بداية جديدة تهدم الطبيعة الفاسدة، وتقيم الطبيعة الجديدة متحدةً بلاهوت الثالوث حسب اتحاد لاهوت الابن بالجسد.

الجانب الثالث:

إن موت المسيح هو موت الذي مُسِحَ بالروح القدس، وحمل اسم ''المسيح''. هنا أيضاً الروح القدس هو روح الحياة، ونحن نعترف بأنه ''الرب المحيي'' يمسحُ الربَّ لكي **يصبح الرب ممسوحاً بقوة الحياة من الروح لأجلنا نحن، لا لأنه احتاج إليها.**

هكذا جاءت هبة الحياة بالمسحة، بالتقديس، أي تخصيص الرب يسوع للموت والحياة معاً. هذا تناقضٌ لفظيٌّ، ولكن لأن الموت هو ''سلبٌ'' للحياة، جاءت جرعة الحياة الأبدية والحياة الغالبة الموت من الآب بالابن في الروح القدس. وهنا يصبح انبثاق الروح القدس من الآب ضرورة خلاصية لأنه يحمل

إلينا هذه الحياة التي تصلنا في الابن. ولا يوجد انفصال لأن ''المسحة'' لا تزول بالموت، وجسد الرب لم يرَ فساداً وقام بمجد الآب (فيلبي ٢: ٦ – ٧). ولكن ما حدث للرب لا يخص الرب وحده لأنه لا يحتاج إليه، بل هو دعامات الخلاص أو دعامات التدبير وأساس الشركة.

''أما نحن فلنا مسحة من القدوس'' (١ يو ٢: ٢٠)، هذه المسحة تعلِّمنا كل شيء كما يقول الإنجيلي؛ لأننا نُمسح لكي يصير لنا مسحة حياة. وعبارات الرشم بالميرون في صلوات المعمودية في الكنيسة القبطية، جديرةٌ بالاهتمام؛ لأن مسحة اللاهوت هي من الخارج على الجسد، وفي الداخل في النفس. ولذلك، نحن نتسربل باللاهوت من الداخل والخارج، وهذا كثير علينا في هذا الزمان الذي انقطعت فيه الصلة بلاهوت الآباء.

-٦-

# المحبة الثالوثية

**١-** المحبة في الثالوث، ليست صفة، ولا قوة، ولكنها حياة الأقانيم الثلاثة. هي الشركة الإلهية التي تجعل عطاء الذات الكامل حركة حرية، لا حركة ضرورة؛ لأنه لا توجد ضرورة في الله. الضرورة هي قيد الطبيعة المخلوقة التي تتحرك حسب حدود الطبيعة المخلوقة ولا تملك أن تتعدى هذه الحدود.

**٢-** العطاء الكامل هو عطاء الذات، حيث تملك المحبة، لا كقوة تدفع للعطاء؛ لأن هذا أيضاً قيدُ الضرورة، ولكن العطاء الكامل هو غير محدود بالموت؛ لأن المخلوق الذي يعطي ذاته كاملاً يموت بالعطاء موتاً لا علاقة له بالخطية. أمَّا عطاء الذات في الثالوث، فهو الشركة في كل شيء: الكينونة والعمل الحر الذي لا يقف عند حدود ولا يتحرك حسب قواعد؛ لأن الحرية هي إحدى سمات الحياة الإلهية حيث يتحرك الثالوث بلا ضرورة ولا شريعة تقيده لأن هذا هو ما يخص المخلوقات.

**٣-** عطاء الذات الكامل هو شركة يحل فيها كل أقنوم في الآخر حلولاً متبادَلاً عبَّر عنه اللاهوت الشرقي الأرثوذكسي بكلمة واحدة هي περιχώρησις – *Perichoresis* وردت عند النزينزي والدمشقي والمعترف. وقد ترجمها البعض بالاستيعاب المتبادل أو الاحتواء المتبادَل، ولكنني أفضِّل الحلول المتبادَل لما تحويه كلمتي الاستيعاب والاحتواء من تحديد، بينما الحلول المتبادَل، يحفظ حركة الحرية. هذه نقطة خاصة بالترجمة لا بالعقيدة، وربما وضع شرح لمدلول التعبير هو ما يغني الفكر الراكد عندنا.

٤- يحل الآب في الابن، والابن في الآب حسب قول المخلص نفسه في إنجيل يوحنا، وهو حلولٌ يجعل "الآب والابن واحداً" في الحياة، أي الجوهر، وفي العمل، وفي الإرادة والمحبة، وفي كل شيء. ولذلك عندما يقول الإنجيل إن الربَّ صُلِب، فلا يجب أن ننسى أنه صُلِبَ وهو في حضن الآب (يو ١: ١٨). وهو ما جعل كنيسة مصر العظيمة تقرأ نص الإنجيل -في الليتورجية: "الكائن في حضنه الأبوي كل حين".

لذلك، فإن التعليم السائد عن الفداء والكفارة، إنما ينطوي على تجديف -عن جهلٍ- صادرٍ من عقلٍ لم يستوعب حرية المحبة وحرية حركة الحلول المتبادل؛ لأن رسول رب المجد قال: "إن الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه" (٢كور٥: ١٩). ويجب أن نعي أن خدمة المصالحة التي ذكرها الرسول، هي خدمة الثالوث لنا في الليتورجية؛ لأن مجيء الابن إلينا دون أن يفارق "حضن الآب"، هو حركة نزول، أي اتحاد بالطبيعة الإنسانية، والنزول من السماء يعني عدم الحياة في السماء وحدها، بل مجيء الابن له المجد لكي يحيا معنا نحن البشر "لأن الكلمة صار جسداً ونصب مسكنه بيننا" (يو١: ١٤)، أي أنه تجسد لكي ينقل -بالتجسد- الإنسانية إلى حضن الآب دائماً، وفي حضن الآب تموت لكي يُباد الموت، وفي حضن الآب تقوم لكي تنال الشركة في الحياة الخالدة.

٥- ويخدمنا الثالوث في خدمة المصالحة، أي الليتورجية، عندما نقرّب قربان الرب لأنه هو خالق الخبز والخمر، وهو الذي اختارهما حسب النبوات، معلِناً كمال البركة التي أعطاها ملكي صادق لإبراهيم. وعندما ندخل إلى الهيكل -وكان قديماً يوجد تجويف في الشرقية يسمى حسب كتب الطقس "حضن الآب"- فإننا نخدم في حضن الآب لكي ننال ذات المحبة التي يعرفها الابن قبل تجسده وبعد تجسده، أي محبة الآب، ولكي نتطهر بالذبيحة ونتطهر من

الشوائب والذنوب والجهل ويصفو القلب وينطلق في حركة المحبة المتبادَلة بين أقانيم الثالوث.

٦- يأخذنا الابن المتجسد اللابس نفس الجسد إلى ذات محبته للآب والروح القدس، ويحملنا إلى عمق الحياة الإلهية، حيث لا ألفاظ ولا عواطف، لأنه نقل الكيان الإنساني المستعبَد للطبيعة إلى "حرية مجد أولاد الله"، لكي نذوق حياة الدهر الآتي هنا قبل الانطلاق إلى كمالها بعد الموت وبعد يوم الدينونة.

٧- في الحلول المتبادَل يحل العبد بالطبيعة، أي الإنسان، في يسوع المسيح الحر رب المجد، ويدخل مع يسوع الحلول المتبادَل، لا لكي يستقر في الآب وحده، بل لكي ينقله الابن معه وفيه إلى الآب والروح القدس نقلةً عربونيةً تكمُل في الدهر الآتي؛ لأن رؤية وكمال هذه الحركة لن يعطَ لنا إلّا عندما يُفتدى الجسد من الموت بالقيامة من الأموات، ويتحرر من الفساد الطبيعي اللاصق به. ولكننا لا نذوق العطاء الكامل؛ لأننا لم نتحرر بعد من الموت الطبيعي، ولا نقدر أن نعطي ذواتنا بشكلٍ كامل لله إلّا في عطاء يسوع المسيح، رب العطاء؛ حتى لا نذوق الموت ونصل إلى العدم، بل نذوق عربون العطاء وندخل الحلول المتبادَل كأبناء بالنعمة مع الابن بالطبيعة.

هنا يقف العقل عن الفكر لأن المحبة تسبق النطق.

-٧-

# الولادة الأزلية للابن الوحيد

**١-** أزلية الابن له المجد هي تأكيدٌ على وحدانية جوهر الله، وتمايُز الابن عن الآب وتحديد صفة البنوة كصفة أقنومية، يعني أن الابن يشترك في كل ما للآب ما عدا الأبوة، ولكنه من هذه الأبوة وُلِد ويُولد لأن الولادة هي حركة وليست عملاً تم وانتهى، بل هو يولد دائماً (العلامة أوريجينوس).

وحركة المحبة ليست خروجاً أو صدوراً أو انبعاثاً، كلُّ هذه ألفاظٌ تقال لمجرد تقريب السر الأزلي للثالوث للعقل البشري، ولكن في شركة المحبة الإلهية الواحدة يُولد الابن دائماً من الآب لكي يعلن صلاح ومحبة الله. وحتى في التدبير، الله معلنٌ في الابن بالروح القدس، أي أن المحبة معلنةٌ في الابن وتُعطى بالروح القدس (رو ٥: ٥).

**٢-** ولادة الابن الأزلية خاصة بالثالوث، ولكن حسب التدبير، الخليقة خُلِقت بالابن (يو١: ١ - ٣)، وشركة الابن مع الآب في الخلق هي دعوة الخليقة لمعرفة محبة الله، وهي المحبة الواحدة التي لا تنقسم، لأنها محبة شركة: لأن محبة الواحد لنفسه محبة ذاتية، ومحبة الاثنين محبة مغلقة على شركة الاثنين، ومحبة ثلاثة هي محبة متعددة، أي تأخذ دائرة، ليس بشكل هندسي دائري، بل بالعطاء والأخذ الذي يصبُّ في ثالثٍ؛ لكي يأخذ الثالث ذات العطاء، ويعطي ذاته الثالثة. وهنا لا يجب أن نخاف من كلمة ذات، لأنها تؤكد لنا أن الأقنوم كيان حقيقي، وله ذاتٌ حقيقية، ولكي نترجم ذلك إلى حركة التدبير نفسه نقول: يرسل الآبُ الابنَ، وإرسال الآب هو ولادة الابن؛ لكي يكون

دائماً الابن ولا يفقد بنوته، وعندما يتَّحد الابن بالجسد الإنساني، يدعو البشر إلى شركة في حياته الإلهية المتجسدة، ويمنح ذلك في الروح القدس حسب المبدأ المُسَلَّم من الآباء: «من الآب بالابن في الروح القدس» (القديس أثناسيوس في الرسائل إلى سرابيون، الرسالة الأولى بالذات).

وهكذا تُعطى المحبة من المصدر، الآب، وتُعلَن بالابن، وتُعطى بالروح القدس. هي إذن حركة أقنومية ناحية الإنسان لكي يدخل الإنسان في شركة مع الثالوث، فلماذا حركة الثلاثة كاملة؟ هي من المصدر — الإعلان — العطاء. ف «الآب يحب الابن» كما قال الرب يسوع نفسه، ومحبة الآب للابن تُوهَب بالروح القدس (رو ٥: ٥)؛ لأن الروح يأخذ من الابن، فهو المُعلِن كمثالٍ على سعي الله الثالوث لاسترداد الإنسان. وبالمحبة يتحرك الثالوث من المصدر (الينبوع في رسائل أثناسيوس إلى سرابيون، الرسالة الأولى ١٩)، وتصب هذه المحبة الأقنومية في استعلان الابن في التجسد والصلب والقيامة، ثم تُوهَب بالروح القدس الذي قَبِلَ (أي أخذ) الابن من الآب في تجسده وأعطاه الجسد في أحشاء البتول، ومسحه في الأردن، وبه صُلِبَ وقام من الأموات؛ لأنه قَبِلَ الابن من عند الآب؛ لكي نقبل نحن من الابن، الآبَ والروح القدس.

**٣–** من الآب يُولد، وبالآب يُرسَل، وبالآب يعطي المسحة. ومن الابن نأخذ الروح الذي يأخذ لنا عطية التبني من كيانٍ له الذات أو الصفة التي تمنح البنوة بكونه الابن، ولذلك يُوصَف الروح القدس بأنه روح الابن (غلا ٤: ٤ – ٦)؛ لأنه يُعطى بواسطة الابن، وهو شريك الابن في تدبير الخلاص؛ لكي تكتمل دائرة المحبة بدخول الإنسانية إلى هذه الشركة في الابن كوسيط ورأس وآدم الأخير حاملاً فيه الإنسانية، ليس فقط في الناسوت، بل في خلق كل إنسان خلقاً جديداً.

-٨-

# لماذا يتبادل الأقانيم الحلول؟

الحلول المتبادَل بين الآب والابن والروح القدس هو حلول المحبة الواحدة التي تحفظ التمايُز في الجوهر الواحد؛ لأن الجوهر ليس طبيعةً متسلِّطةً على الأقانيم، فلا وجود للجوهر بدون الأقانيم، والجوهر واحد في كل الأقانيم الثلاثة.

يحلُّ الآبُ في الابن، ويحلُّ الابنُ في الآب حلول الأبوة والبنوة، حيث يصبح الآب في الابن آباً، والابن في الآب ابناً. ولذلك، عندما حمل الابنُ معه الطبيعة الإنسانية، نالت الإنسانية البنوة من الآب في الابن. وعطية الروح القدس ليست عطية تضاف؛ لأن الآب يحلُّ في الروح، ولذلك قيل إن الروح هو روح الآب. ويحلُّ الروح في الابن، ولذلك قيل إنه روح الابن.

وعند اتحاد اللاهوت بالناسوت في أحشاء البتول، كوَّن الروحُ إنسانية الابن يسوع المسيح، فصار تآلف الروح مع الإنسانية بسبب حلول الابن في الروح والروح في الابن. وبسبب الحلول المتبادَل «حلَّ الروح القدس» على الابن المتجسد في الأردن معلِناً مِسحة الانسانية؛ لكي تستقر الإنسانية في الروح بواسطة الوسيط يسوع المسيح. ولذلك، في التبني، عندما ينقل الابن له المجد الطبيعة الإنسانية فيه في حركة الحلول المتبادَل، عندئذٍ تنال فيه التبني من الآب في الابن بالروح القدس.

وعمل الروح القدس ليس غامضاً ولا مضافاً، بل هو عطية الآب للابن كما قال القديس هيلاري أسقف بواتيه (الثالوث).

والعطية هي ذات حركة المحبة الإلهية؛ لأن الروح القدس الذي من عند الآب ومنه وحده ينبثق (يوحنا ١٥: ٢٦)، يستقر في الابن كعطاءٍ كاملٍ لكل ما هو

في الآب؛ لأن الآب يلد الابنَ أزلياً، وهو آبٌ لا يحفظ أبوَّته لذاته، بل يعطي كل ما في أقنومه للابن؛ لكي يعطي الابن كل ما في أقنومه للآب. ونفس الحركة، أي حركة العطاء، خاصة بالروح القدس، فهو من عند الآب ومنه ينبثق، لا لكي يعود إليه حالَّاً فيه وحده، بل يعود في الابن. ولذلك، عند تبنِّي الطبيعة الإنسانية في المحبة الثالوثية، لا يظهر الجوهر، بل يُستعلَن الأقنوم، إذ يظل الكيان الإلهي غير مُستعلَن؛ لأن ما يُستعلَن هو ما تشترك فيه الإنسانية في يسوع المسيح بالروح القدس كوسيط، وبالعطية، أي الروح القدس. ويظل، حتى سرّ المحبة الإلهية نفسه غير معلَنٍ إلَّا في حركة الأقانيم كما بشَّرت بها الكنيسة الجامعة بواسطة الابن والروح، وسُلِّمت إلينا في سر التدبير، وهو سر قيام الكنيسة.

## الحلول المتبادَل معلَنٌ في التدبير:

الإعلان عن الحلول المتبادَل في التدبير خاصٌّ بنا نحن. فلأجلنا نحن البشر، تظهر حركة المحبة لكي تطرد منا كل بقايا الوثنية والميل إلى الجمع والاستحواذ أو الملكية النابع من خوف الموت. فحيث الحياة الأبدية وإبادة الموت؛ يتطهَّر الفكر، ويتقدس الوعي، فيَصِلُ إلى إدراك ما هو أعظم بلا خوفٍ، ودون الحدود التي رسمها الموت، أي تحديد فكرة عقلية من واقع الخبرة، والتعبير عنها بالكلمات، **واعتبار أن هذه الكلمات هي التي تحدد حدود الرؤيا، وهي مأساة العصر الذي نعيشه**، بينما الكلمات هي دلالة ورمز لِمَا هو أعظم، أي الحياة التي تعلو على اللفظ.

* ففي الحياة الأبدية وحدها، يصبح التمايُز هبةً، لا تهديداً للكيان. أمَّا تحت سطوة الموت، فالتمايُز يصبح تهديداً، والآخر قد يصبح عدواً.

* في الحياة الأبدية، الرؤيا تسبق اللفظ، حسب قول المزمور: ”ذوقوا وانظروا

ما أطيب الرب‘‘؛ لأن اللفظ هو للشركة، بينما الرؤيا تُعطى للشخص للحياة، أولاً: لكي يشترك في ذات الحياة التي أُعطيت، وثانياً: لكي باللفظ، يعبِّر كل الذين في الشركة عما اشتركوا فيه.

* في الحياة الأبدية لا توجد تعريفات؛ لأنه حيث يُستعلَن الشخص، لا بقاء ولا ضرورة للتعريف *Definition* لأن التعريف هو تحديد فكرة من أجل الحوار. وفي حين أن الاتفاق على معاني الكلمات والمفردات ضروري للحوار، ولكن في الرؤيا لا حوار قبل الرؤيا، ولكن بعد الرؤيا يمكن أن يأتي الحوار. ولذلك، كل ما ظهر من اعتراضات على التدبير هي اعتراضات مصدرها انعدام الرؤيا المشتركة الجامعة، ومحاولة كل محاوِر أن يكون هو البارز والمتقدم، بينما في تمايُز أعضاء الجسد، الذي يحفظ التمايُز، هو العضوية في الجسد الواحد، لا القدرات العقلية أو المهارة الشخصية، وهذه العضوية هي الوجود في المسيح، ونوال هبة الحياة الجديدة في المسيح بالروح القدس.

* حسب التدبير، الحلول المتبادَل هو مجد الإنسانية التي –في المسيح– تدخل في ذات الحركة الثالوثية، أي حركة المحبة التي تصل إلى ذروتها في ليتورجية سر الشكر حسب المستوى الإلهي المستعلن في صلوات الكنيسة الجامعة.

ثانياً:

النَّص

# حَرَكَةُ المَحَبَّةِ في الثَّالُوث

رسالة الأب صفرونيوس إلى الأب صفنيا

**١-** من صفرونيوس عبد يسوع المسيح إلى الأب الحكيم صفنيا.

سلامٌ ومحبة لكم جميعاً، لاسيما الأخوة الذين بدأوا طريق الحياة المصلوبة، أي الحياة النسكية.

وصلتني رسالتكم. وأنت تطلب مني أنْ أغوصَ في أعماق الله، وهو ما هو مستحيلٌ علي أي إنسان، ولكني سوف أكتب لك -كما طلبت، وحسب قدرتي على التعبير- عن ''سر'' الله الذي يفوق المعرفة.

## هل محبة الله حركة، أم سكون؟

**٢-** حسب ما أُعلِن لنا في الأسفار المقدسة -لاسيما كلمات الرب يسوع المسيح نفسه- الآبُ أرسل الابنَ إلينا متجسِّداً، ومنه ينبثق الروح القدس لكي يستقر في الابن، ولكي يُرسَل إلينا ليعطي لنا حياةً فيه، أي في الثالوث.

وهكذا، حسب ''التدبير'' المُعلَن في الأسفار المقدسة، وحسب شهادة ربنا يسوع المسيح، المحبةُ الإلهيةُ الثالوثيةُ هي حركةٌ في جوهر الله، وليست سكوناً مثل سكون المتوحِّدين الهادئين في ميناء الخلاص لكي -بنقاوة الرؤية وعدم انشغال القلب- يَصِلوا إلى معاينة الله حسب الإعلان الإلهي في الثالوث القدس.

**٣-** فإذا كان ''التدبير'' يؤكِّد لنا أنَّ المحبةَ الثالوثيةَ تتحرك في الجوهر الإلهي، فما الذي يمكن أنْ ندركه نحن البشر من هذه المحبة؟

حسب الإعلان الإلهي في ''التدبير''، نقول إنَّ الآبَ واحدٌ بلا بدايةٍ في زمانٍ، أو في كيان. هذا النفي ضروريٌّ جداً؛ لأنه يشفي عقول البشر من الوثنية التي تضع الله في رتبة المخلوقات.

لكن عدم البداية هو أيضاً خاصٌّ بالمحبة؛ لأن محبة الثالوث لا بدايةَ لها. وعندما قال الرسول: ''الله محبة'' (١يوحنا ٤: ١٦)، فقد وضع أقدامنا على شاطئ البحر العظيم، أي حياة الله الآب والابن والروح القدس. من هنا نُدرِكُ أنَّ عدم بداية الجوهر الإلهي تعني أنَّ الله غير مخلوق، ولكن هذا يعني أيضاً -كما ذكرت- أنَّ محبة الله بلا بداية، ولذلك صرَّح الابن المتجسّد وأعلن أنَّ مجده الإلهي سبق خلق العالم (يوحنا ١٧: ٥). وأيضاً يعلن الرسول أن دم ربنا يسوع معروفٌ قبل تأسيس العالم (١ بط ١: ١٩ - ٢٠)، مؤكِّداً لنا أنَّ الخلاص لم يبدأ في حُفرة الخطية، ولكن عدم بداية الآب، جعلت محبَتَهُ -أي جوهر اللاهوت- التي بلا بداية، تتحرك في الزمان حسب التدبير دون أن يحرِّكُها الزمان؛ لأنها حركةُ خالق الأزمنة.

**٤-** وإذا كان الآبُ بلا بدايةٍ، فالابن بدايته في الآب؛ لأن كلمة بدء **ⲁⲣⲭⲏ** عندما تُستخدم في الكلام عن الثالوث تعني أصلٌ ورأس[٢٢]. وهكذا

٢٢ راجع شرح إنجيل يوحنا للقديس كيرلس الكبير - الإصحاحان (١، ٢) - ترجمة د. جورج حبيب بباوي - مركز دراسات الآباء - يناير ١٩٨٩م ص١٨ وما بعدها، حيث يقول القديس كيرلس: ''والإنجيلي المبارك -على ما يبدو لي- يُسمي الآبُ ''البدء - **ⲁⲣⲭⲏ**''، أي القوة والسيادة التي على الكل، أي الطبيعة الإلهية التي فوق الكل والتي تحت أقدامها تستقر الطبائع المخلوقة التي هي كائنة ومدعوة للوجود بسبب إرادة اللاهوت.

في هذا ''البدء - **ⲁⲣⲭⲏ**'' الذي هو فوق الكل وعلى الكل ''كان الكلمة''، ليس من الطبائع المخلوقة التي تحت قدمي البدء وإنما عالياً عنها جميعاً لأنه ''في البدء'' أي من ذات الطبيعة والكائن دائماً مع الآب، وله طبيعة الذي ولده كمكان أزلي قبل الكل. لذلك هو مولودٌ حُرٌّ من الآب الحر، ومنه ومعه له السيادة ''arxh'' على الكل. وما هو المقصود من هذه النقطة بالذات؟

لقد ادعى البعض -كما أشرنا- أن الكلمة دُعي إلى الوجود أولاً عندما أخذ هيكله من العذراء مريم وصار إنساناً لأجلنا. وما نتيجة هذا الادعاء؟ وماذا يحدث لو كان الابن حقاً كما يدَّعون مخلوقاً مثل كل المخلوقات، وجاء إلى الوجود من العدم، وله اسم وحقيقة العبودية وصفات الطبيعة المخلوقة؟ ومَن مِن الطبائع المخلوقة يمكنه بحقٍ أن يهرب من الخضوع لسلطة الله الرب الذي هو على الكل؟ ومَن مِن الكائنات يتوقف عن الخضوع للسيادة والقوة والربوبية التي على الكل، والتي يشير إليها سليمان حينما يقول: ''عرش المملكة يثبت بالبر'' (أمثال ١٦: ١٢)؟ وما هو العرش الذي له السيادة على الكل؟ يقول الله بواسطة أحد القديسين: ''السماء هي عرشي'' (أشعياء ٦٦: ١). ولذلك فالسماء مستعدة للبر، وهذا يعني أن الكل خاضعٌ لعرش الله في السماء، أي كل الأرواح المقدسة المستعدة لخدمته.

لهذا السبب بعينه يهجم الإنجيلي المبارك بقوة على الذين يعلِّمون بأن الابن يُحسب في عداد المخلوقات الخاضعة لسلطة عرش الله، وأنه تحت السيادة ''arxh''، ويصرخ الإنجيلي ضد هؤلاء جميعاً معلناً أن الابن

بدءُ الابنِ هو جوهر الآب، هو محبتُهُ. ولذلك يقول الرسول عن الرب يسوع إنه ابن محبة الآب (كولوسي ١: ١٣).

## ماذا يعني هذا بالنسبة للتدبير؟

يعني عدة أمور ضرورية، وهي أن الخلاص أصله في الآب وبدايته في الآب؛ لأن بدايته الأزلية هي في حركة الولادة الدائمة من الآب. وعندما نقول إنَّ الآبَ هو بدءُ الابن ''ⲁⲣⲭⲏ''، فإن ما أُعلِنَ في الزمان في ''التدبير'' يؤكِّد لنا أن التجسُّد والصلب والقيامة هو من الآب بالابن، من الأصل أي الآب، مُعلَناً في الابن، أو حسب تسليم الآباء ''من الآب بالابن في الروح القدس''.

هكذا رأسُ الخلاصِ هو الآب، وهو مَن سنعود إليه في اليوم الأخير.

## ماذا يعني هذا بالدقة الممكنة لِما نملك من كلمات بشرية محدودة؟

**أولاً**: مجيء الابن إلينا هو مسرة الآب حسب بشارة الملائكة: ''المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام'' (لوقا ٢: ١٤)، وهو ما نبدأ به في صلاة باكر؛ لكي ندخل أعماق ''التدبير'' الإلهي الذي يمنعنا من أن نفصل بين أقانيم الثالوث لأنه لا انفصال في المحبة، فالانفصال هو من علامات الخطية لأنه نابعٌ منها.

---

ليس من المخلوقات بالمرة، بل هو حُرٌّ تماماً من العبودية؛ لأنه من ذات جوهر الآب، وله ذات السيادة، ويعلن عن طبيعته بقوله: ''في البدء كان الكلمة''.

ولكي يقضي تماماً على هذا الرأي، يضيف إلى كلمة ''البدء'' فعل ''كان''؛ لكي ندرك أن الكلمة ليس حديثاً ''بل أزلياً'' وقبل كل الدهور. والفعل ''كان'' وُضِعَ هنا لكي يحمل كل مفكر إلى أعماق سحيقة، وهي الميلاد الأزلي غير المدرك الذي هو فوق الزمان. وفعل ''كان'' هو فعلٌ مطلق لا يمكن أن يتوقف لاسيما إذا اقترن ''بالبدء''. و''كان'' تعلو على الزمان ولا يمكن قياسها. فهي دائماً تسبق الفكر، ومهما حاول العقل أن يتصور أنه وقف عند ''كان''، يجد بعد ذلك أن النقطة التي توقف عندها هي أقل بكثير من فعل ''كان''.

إذن ''فالكلمة كان في البدء''، أي كان في السيادة على الكل، وله صفات الربوبية؛ لأنه من الله، وما دام هذا هو الصحيح، فكيف يمكن أن يقال إنه خُلِق!؟ وكيف ينطبق هذا الادعاء على معنى فعل ''كان''؟ وكيف يمكن مصالحة الذي ''لم يكن'' مع الذي ''كان''؟ وأي مكانٍ هناك بالمرة لعبارة ''لم يكن'' فيما يخص الابن؟

**ثانياً**: إذا كانت بداية الابن الأزلية هي الآب نفسه؛ لأنه ''أصل'' الابن، صار من الواضح أن التبني في يسوع المسيح (غلا ٤: ٤ – ٦) هو ردُّنا إلى الآب بالنعمة.

نحن لنا الوجود الخاص بنا، وهو الوجود المخلوق المحدود بالطبيعة التي وُهبت لنا من الله، ولذلك، شركتنا في الثالوث لا تعني بالمرة أننا نشترك في الوجود الإلهي، بل في محبته.

فإذا كان جوهر الله هو المحبة، فكيف نشترك في المحبة، ولا نشترك في الوجود الإلهي، أي جوهر الله؟

الجوابُ سهلٌ جداً لمن يميِّز بين الوجود المخلوق والوجود الخالق؛ لأن الوجود المخلوق لا يملك وجوده، بل هو تحت سلطان ''الحفظ'' الإلهي ''والنعمة''، فهو ليس له كيانٌ ذاتيٌّ قائمٌ بقدراتِ المخلوق، بل كيانٌ ''محفوظٌ'' بالنعمة، ولذلك عندما يصبح الابن ربنا يسوع هو ''بدء'' أو ''رأس'' الكنيسة، فإننا بعد أن كان العدم هو ''البدء'' الذي جئنا منه، صار اللاهوت هو ''البدء'' الجديد الذي نقَلَنا إليه الرب يسوع عندما أخذ جسده من والدة الإله القديسة مريم، ونقلنا إلى كيانه الإلهي المتجسد. أخذ بدايتنا لكي يكون هو بدايتنا كخليقة جديدة. من أجل هذا نسبِّح الرب ونشكره دائماً على الخلاص العظيم الذي أُعطي لنا وجعلنا ننال التبني.

**ثالثاً**: بدايتنا في الابن لا تجعلنا مساويين للابن، ليس فقط لأن بدء الابن هو الآب وبدءُ الخليقة الجديدة هو الابن، بل يختلف ''البدء'' اختلافاً جوهرياً، لأن الابن مساوي للآب، أمَّا نحن، فإن المساواة ليست بالابن قبل تجسده، بل بالابن بعد تجسده، وماذا يعني ذلك؟

نحن نشترك في إنسانية واحدة هي الإنسانية الجديدة التي وصفها الرسول

بولس بأنها من ”لحمه وعظامه“ (أفسس ٥: ٣٠)، أي كائنةٌ في المسيح من حياته؛ لأن اللحم والدم والعظام هي كلمات الوحي المقدس التي تؤكِّد لنا ما هو إنساني.

## لكن، كيف نولد ولادة جديدة في المسيح؟

عندما يردُّنا المسيحُ إلى ”البدء“ الجديد، أي عندما ننال منه ذات الحياة التي أُعطيت لجسده، ومصدر هذه الحياة هي لاهوته؛ لأن الناسوت ليس له وجودٌ مستقلٌ، بل نال وجوده من الروح القدس، ومن الاتحاد بأقنوم الكلمة، وظَلَّ كما سيظل في الأبدية الناسوت الممجَّد بكل أمجاد اللاهوت.

إذن، علينا أن ندرك أن هذه المساواة، أو الشَبَه بالابن المتجسد، مُعلَنةٌ لنا في تجسده، وثابتةٌ في تجسده على النحو الذي نراه في التدبير؛ لأن الاتحاد بين اللاهوت والناسوت أعطانا بدايةً جديدةً، ونقلنا إلى شركة الطبيعة الإلهية؛ إذ صار لنا وجودٌ أو قيامٌ في الله نفسه بسبب اتحاد اللاهوت بالناسوت. ثم جاءت معمودية الرب في الأردن لكي تعطي لنا شركة الروح القدس الذي كوَّن ناسوت الرب ثم مسحه. وتكوين أو خلق الناسوت، يختلف عن المسحة؛ لأن خلق الناسوت هو بدايةُ حياةٍ، أمَّا المسحة فهي بدايةُ الشركة؛ لأن الإنسان الجديد المولود من الروح القدس ومن العذراء القديسة مريم، أُعطيَ له الطعام الأبدي، أي مسحة الروح القدس؛ لكي يقابل الشيطان ويقهره، ويقابل الموت على الصليب ويبيده، ويدخل إلى الجحيم ويسبي الجحيم ويقوم حيًّا حاملاً في جسده كل قوة وعزة ومجد اللاهوت. وبعد ذلك ينقل هذا الجسد الممجد أو الإنسان الجديد بعد القيامة إلى السماء لكي يفتح لنا ”قدس الأقداس“.

٥- في كل هذا نرى حركة المحبة الإلهية. فالكائن في ”حضن“ الآب، أي ربنا يسوع، كان يعمل وينقل إلينا كل ما هو خاصٌّ بالتدبير وهو في ”حضن“ الآب؛ لأنه كان يرى أن محبة الآب التي هي بدء أو أصل أقنومه، هي التي تحرِّك

كل ما يحدث في التدبير.

عندما تجسَّد الابنُ بالروح القدس، كان الروح القدس الذي ينبثق من الآب وحده (يوحنا ١٥: ٢٦)، والذي يستقر في الابن وهو روح محبة الثالوث (رو ٥: ٥)، كان الروح القدس ولا زال يجمع المؤمنين إلى شركة تجسده، أي شركة بنوته؛ ولذلك يقول الرسول: ''ولأنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً أبّا أيها الآب'' (غلا ٤: ٦)؛ لأننا نلنا البنوةَ أولاً بتجسُّد الابن؛ لأنه الابن وهو في الجسد، فصار كل مَن له جسد مدعُّواً إلى هذه البنوة، ومدعُّواً لأن ينال روح الآب الذي يجعل كل المفديِّين في يسوع يصرخون: ''أبّا أيها الآب''؛ لأنهم عادوا -في البدء الجديد- إلى الآب بدء وأصل كل حي، واستراحوا بمعرفة غاية وجودهم.

**٦-** سوف أكتبُ لكم عند عودة الأب ديونيسيوس، رسالةً عن الابن والروح القدس، ولكن في الزمان الحاضر، اكتفي بأن أقول إن قبول الروح القدس مستحيلٌ بدون الابن؛ لأننا بدون الابن غرباء عنه، ولكن بالابن لنا ذات قبول الابن عند الآب.

بهذا نؤمن؛ لأن ''جسارة'' المحبة الثالوثية جعلت قبولنا عند الآب هو ذات قبول الآب للابن بلا شروط وبلا استحقاقات؛ لأن المحبة لا تعرف الشروط، ولا تطلب استحقاقات، بل تعرف الإنعام الإلهي الذي يُعطي بسخاء يفوق كل ما يمكن أن يُقال عن السخاء.

يكفي أن نتذكر هذه الأمور اللازمة:

**أولاً**: إنَّ انبثاق الروح القدس من الآب واستقراره في الابن يحرِّك الابنَ نحو الآب لكي يستقر بالروح القدس في ''حضن'' الآب. هذه الحركة الأزلية ليست انتقالاً من مكان إلى مكان أو من حالة إلى أخرى، بل هي حركة المحبة،

أي العودة إلى الأصل بعطية المحبة التي أُعطيت للابن، أي الروح القدس، لكي بالعودة إلى الآب يستقر الابن في الآب ويستريح فيه لأن الآب هو غاية محبته.

**ثانياً**: الروح القدس ينبثق من الآب مُعلِناً لنا أن المحبة الالهية تُسكب في ''ملء اللاهوت''؛ لأن الآب لم يرسل لنا الابن فقط، بل أرسلَ الابنُ الروحَ القدس الذي ''تآلف معه وفيه'' منذ الأزل واستقر عليه كمتجسِّدٍ لكي يستقر على كل المتجسدين.

**ثالثاً**: الروح القدس ينبثق من الآب لكي يقود ''أسرار الكنيسة''، وبالذات ''سر الانضمام''[٢٣] لأن الروح ينقل الماء الذي اعتمد فيه الابن وضمَّه إلى ''التدبير'' لخلق الخليقة الجديدة، ويجعل المياه ''ماءَ حياةٍ''. ثم يمسحنا الروح القدس بالميرون الإلهي بيدِ الكاهنِ العظيمِ يسوع المسيح، وبواسطة خُدَّامِه؛ لكي نشترك في مسحَتِهِ، أي مسحة يسوع المسيح نفسه. ويعلِن لنا الروح القدس الذي كوَّن جسد ابن الله، أنَّ الذي على المذبح هو ذات الجسد الذي كوَّنه في أحشاء القديسة مريم والدة الإله. هكذا يثبتُ بدءُ كل شيء في البدء، أي راس التدبير يسوع المسيح، البدء الذي يعيد كل شيء إلى الآب.

٧- علينا أن نتتبع بقلوبنا حركة التدبير عندما يتجسد الابن بالروح القدس الذي حلَّ على والدة الإله، وكوَّن منها جسد الابن الوحيد، فإن المحبة الإلهية أَعلَنت محبتها للبشر بسبب تجسد الابن، فقد دخل الناسوت بحر المحبة الإلهية، ليس كمخلوقٍ غريب، بل كمخلوقٍ بروح المحبة، أي الروح القدس، ومُتَّحدٍ بابن المحبة، ربنا يسوع المسيح. ولذلك كان لابُد له أن ينمو في النعمة والقامة (لوقا ٢: ٥٢).

وسهلٌ علينا أن نفهم نمو القامة، أمَّا نمو النعمة، فهو تدرج الناسوت كآدم الأخير في استيعاب الاتحاد، وفي اتساع مداركه الإنسانية حسب نمو القامة

---

٢٣ المعمودية – المسحة – الإفخارستيا.

وحسب حركة التدبير.

٨- وعندما اعتمد، صارت "ألفة" الروح القدس بالناسوت مُعلَنةً لنا؛ لأن الناسوت -بالروح القدس- يدخل في حركة العطاء، ليس عطاء الوجود (أي تكوين الجسد)، بل عطاء الخدمة التي سوف تُوزَّع على رُتَبِ الكنيسة.

٩- وعندما مات على الصليب، كان موته هو تقدمة المحبة بالروح القدس (عب ٩: ١٣)؛ لأنه عندما قدَّم ذاته بالروح القدس، صار موته "محيياً" وصار صليبه ختمَ حياةٍ؛ لأنه بالرشم (الختم) يُوضَع على تقدمات الكنيسة حتى في سر الإفخارستيا. ومع كلمات الرب نفسه: وشكر وباركه وقدَّسه، فإن الرشومات تعلِن لنا ختم الحياة الذي بعد أن يُوضع على الخبز، يأتي الروح القدس النابعُ من الآب، والمُرسَل بالابن لكي يجعل الخبز والخمر، جسدَ ودمَ ربنا يسوع المسيح. ولذلك أيضاً، صار الصليبُ ختمُ الحياةِ هو أيضاً قوةَ القيامةِ التي تطرد الشياطين، وتهب الثبات لنا في حياتنا النسكية[٢٤].

## حركة المحبة على مستوى الجوهر الواحد:

١٠- يُولد الابن أزلياً من الآب. الآبُ هو الينبوعُ الخِصب الذي يُثمر الابنَ؛ لكي يكوِّن الابنُ العالمَ المنظور وغير المنظور. ينبثق الروح القدس من ذات الينبوع؛ لكي يعطي للعالم الحياة. النموذج الذي خلقه الكلمة، ينال الحياةَ من الروح القدس، ويتَّجه نحو الينبوع، الآب الذي يوصف بأنه ضابط الكل؛ لأنه غاية وسبب خلق العالم.

في الدهر الآتي، ندخل شركة محبة الثالوث بالابن الذي حَفِظَ طبيعتنا فيه بالقيامة، فأعطاها الخلود، وبالصعود رفعها إلى الحياة السمائية لكي يفتح لنا طريقاً قال عنه الرسول بولس إنه قُدسُ الأقداس.

٢٤ راجع رسالة الأب صفرونيوس بعنوان: الصليب ختم القيامة.

عندما ندخل في حضرة الآب وفي ’’حضنه‘‘، فإننا نستقر أبدياً، لا كَمَنْ يستقر في موضعٍ، بل كَمَنْ وصل إلى غاية رحلته. نستقر في ’’حضن‘‘ الآب بواسطة الابن الذي يستريح فيه روح الآب؛ لأنه مِن الآب انبثق واستقر في الابن، فهو روح محبة الآب (رو ٥: ٥).

هنا يتحول ’’عربون‘‘ الروح القدس إلى ’’الملء‘‘، ويصبحُ اللهُ الثالوث ’’الكلَّ في الكل‘‘ (١كو ١٥: ٢٧). لكن هذه ليست حركة سكون، بل حركة محبة نارية تجعلنا –بالالتصاق برأس الخليقة الجديد يسوع المسيح– نتطلع إلى اكتشاف عمق محبة الله ’’الفائقة المعرفة‘‘ التي لا تُدرَك إلَّا ’’بالمعاينة‘‘.

وفي الابنِ نتحرك نحو الينبوع، الآب الذي بالابن دخلنا إليه، وبالروح الذي أخذنا العربون، ثبُتنا فيه.

هنا نكتشف أن الحياةَ هي المحبة، والمحبة هي الحياة؛ لأن الثنائية بين الحياة والمحبة سببها الموت الذي دخل بالخطية، وجعلنا نفضِّل الحياةَ بالأكل من شجرة معرفة الخير والشر على الحياةِ بالأكل من شجرة الحياة.

**١١–** الحياةُ بالمعرفةِ جلبت الموتَ، وجعلت قانون معرفة الخير والشر هو الاختيار الحر الذي يقدِّره كل واحدٍ حسب معرفته. لكن في الدهر الآتي، سيكون اختيار الحياة هو اختيار المحبة الذي يجيء من الامتلاء من معرفتنا بمحبة الله. وقانون هذه المحبة هو الصليب الذي سوف يملأ الحياة الآتية بنورِ البذل الحر الذي سوف يَشِعُّ على الكل، حتى على الخليقة الملائكية؛ لأن القيامة ثبَّتت البذل والعطية.

هناكَ، في الدهر الآتي، سوف نرى أمجاداً للصليبِ رأيناها كَقَبَسٍ قليلٍ في كلمات الرب، مثل كلامه لِلِّصِ: ’’اليومَ تكون معي في الفردوس‘‘، ليس لأنه صُلِبَ وقَبِلَ العقابَ، ولا حتى لأنه قدَّم شبه اعترافٍ بالرب، بل لأنه كان في

حضرة الملك وهو يوزِّعُ الغفرانَ على الخليقةِ، ويثبِّت الملائكةَ في رتبتهم بتأكيدِ التواضعِ والبذل.

**١٢-** حركة المحبة في الثالوث هي حركةُ حياة الله الآب والابن والروح القدس. وكما نتنفس نحن لكي نحيا، هكذا يحيا الله: يقبَل ويُعطي، ويُعطي لكي يقبَل، مثل الشهيق والزفير -طبعاً مع الفارق.

ماذا يقبل؟ الثمارَ التي زرعها الابنُ، وسقاها الروح.

وماذا يعطي؟ يعطي الغاية، غايةَ وجودنا خفيةً، ومُدرَكَةً جزئياً من خلال ما نحققه هنا، أمَّا هناك، فهي معلَنةٌ ومدركةٌ حسب التدبير السابق للأزمنة، لا لكي يكون لنا مكانٌ في السماء، بل لكي يكون لنا شركة في محبة الثالوث.

**١٣-** سَلِّم على الأخوة جميعاً، واذكرونا في صلواتكم، ونرجو أن نراكم في عيد العنصرة؛ لأن اجتماعنا معاً في أحد الروح القدس، هو امتيازٌ خاصٌّ يجب أن نحرص عليه.

سلامٌ ومحبةٌ في محبةِ الآبِ والابنِ والروحِ القدس.

صفرونيوس عبد يسوع المسيح.